

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله  
معهد الآداب واللغات

الرقم التسلسلي:.....  
الرمز: .....



القسم: الآداب واللغات  
الشعبة: لغة وأدب عربي  
التخصص: أدب قديم

## في مدح أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات - دراسة فنية -

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر

إشراف الأستاذة:  
روابع منال

اعداد الطالبة:  
بن محجوب سارة

### لجنة المناقشة:

| الصفة        | الرتبة        | الانتماء                               | اسم ولقب الأستاذ(ة) |
|--------------|---------------|----------------------------------------|---------------------|
| رئيسا        | أستاذ محاضر أ | المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله | سليم بوزيدي         |
| مشرفا ومقررا | أستاذ محاضر ب | المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله | روابع منال          |
| مناقشا       | أستاذ محاضر ب | المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله | وهيبة لماني         |

السنة الجامعية: 2025/2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بداية نتوجه بالحمد والثناء الجزيل لله سبحانه وتعالى الذي وفقني وأعاني على إتمام هذه الدراسة فله الحمد وله الشكر  
أولا وأخيرا

كما أتقدم بالشكر الخالص مقرونا بجزيل العرفان والامتنان إلى الأستاذة الفاضلة  
روابع منال

التي كانت مشرفة على هذا العمل وعن المجهودات والتوجيهات والنصائح  
التي قدمتها لي

كما يطيب لي أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة وإلى كل  
أساتذة قسم اللغة والأدب وجميع أعضاء الهيئة الإدارية بمعهد الآداب واللغات  
بالمركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة لكل ما قدموه لنا طوال المشوار  
الدراسي

كما أتقدم بالشكر الخالص لكل من مد يد العون والمساندة لإتمام هذا العمل  
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

شكرا



## إهداء

أهدي ثمرة جهدي  
لي أحلى وأول كلمة نطقت بها في حياتي أُمي الغالية  
أطال الله في عمرك  
إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث ولوبكلمة طيبة  
إلى إخواني: زكريا، يعقوب، أيوب، إسحاق  
إلى زوجة أخي: فضيلة أشكرها على ما قدمته لي من دعم ومساندة  
إلى أولاد أخي: خليل وأنيس  
إلى أميرة وجميلة المنزل التي ملأته سعادة وفرح حبيبة عمتها واختها  
وصديقتها  
نادين  
ربي يحفظكم من كل شريا رب العالمين  
إلى جميع الاهل والاقارب والأصدقاء والمعارف.

سارة

---

# مقدمة

---

## مقدمة:

يعد المدح واحدا من أقدم الأغراض الشعرية التي عرفها الأدب العربي، فقد ارتبط منذ الجاهلية بوظائف اجتماعية وسياسية وثقافية متعددة، وهو وسيلة لإبراز مكارم الأخلاق والبطولات والمروءة، وقد شغل حيزا كبيرا من نتاج الشعراء عبر العصور لما له من دور في توثيق الصلات بين الشعراء والملوك، أو بين الأدباء والنخب الثقافية، كما شكل وسيلة للتعبير عن التقدير والإعجاب بالشخصيات البارزة في مختلف المجالات. ومع تطور الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر العباسي، شهد المدح تحولات في مضمونه وأساليبه فانتقل من مجرد الإشارة بالبطولات والمكارم إلى مدح المواهب الفكرية ورفع من شأن الممدوح بغية الحصول على مكانة مرموقة أو وظيفة أو غير ذلك.

وقد برز العديد من الشعراء في هذا المجال-المدح-كان من بينهم الشاعر الكبير أبو تمام الذي نال تقديرا واسعا في زمانه، سواء من رجال الدولة أو من النقاد والأدباء ومن بين أبرز من مدحه ابن الزيات وزير الخليفة المعتصم، الذي لم يكن مجرد رجل سياسة، بل كان واسع الثقافة ومهتم بالأدب والعلم وذو مكانة رفيعة وبارزة في المشهد الثقافي العباسي.

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أخوض غمار هذا البحث في غرض المدح في الشعر القديم ولقد اخترت أحد قصائد أبي تمام التي مدح فيها ابن الزيات التي مطلعها: "متى أنت عن ذلهيه الحي ذاهل" فكان موضوع بحثي موسوم ب: "في مدح أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات-دراسة فنية"، وتأتي أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من شعر أبي تمام، فالقصيدة تمثل نموذجا مميزا لفن المدح في العصر العباسي، إذ تجمع بين المديح السياسي والتصوير الفني مما يجعلها مادة خصبة للدراسة الفنية.

ومن هنا قررت أن اتناول دراسة موضوع (في مدح أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات-دراسة فنية) رأيت أن أطرح مجموعة من الأسئلة والتي منها:

- ما أبرز السمات الفنية التي تميز قصيدة أبي تمام في مدح ابن الزيات؟

- ماهي القيمة الجمالية التي أضافتها هذه القصيدة؟

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع الى حبي في إبراز شعر المدح عند أبي تمام خاصة أنه مثَّلَ جل شعره بالإضافة الى رغبتني في إظهار ما لعبته أثر حياة الازدهار والقوة في الشعر والتجديد فيه، اذ تهدف الدراسة الى التعريف بقصيدة المدح ودراسة شعر أبي تمام ثم تحليل الجوانب الفنية في قصيدة أبي تمام في مدح ابن الزيات من خلال الوقوف على بنية النص الشعرية وسماته الأسلوبية وصوره البلاغية، كما يهدف إبراز مدى إبداع الشاعر في توظيف الأدوات الفنية لخدمة غرض المدح.

وقد هناك دراسات سابقة وكثيرة عن شعر أبي تمام لكن هذه القصيدة لم تدرس من قبل. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتبعا لذلك قسمت بحثي هذا الى مدخل، مقدمة، فصلين، خاتمة، قائمة المصادر والمراجع.

أولا مدخل تناولت فيه مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي طرأت على العصر العباسي الأول، ثم قسمت الدراسة الى فصلين جاء الفصل الأول بعنوان الدراسة النظرية وقد تناولت فيه مفهوما للمدح بشقيه اللغوي والاصطلاحي كما تحدثت عن تطور المدح عبر العصور المختلفة من الجاهلي إلى العباسي، ثم عرفت بأبي تمام الطائي الشاعر وقدمت تعريفا آخر للممدوح "ابن الزيات".

أما الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان "الدراسة الفنية للقصيدة أبي تمام في مدح ابن الزيات" تناولت فيها دراسة فنية لهذه القصيدة بداية من باللغة التي درست فيها الألفاظ من حيث جزالتها ورقتها، ومن حيث غموضها وتعقيدها، وأخيرا من حيث سهولتها، أما الأسلوب فقد ركزت فيه على الأسلوب الخبري و الإنشائي، ثم الصورة الفنية التي درست فيها التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وأخيرا الموسيقى التي ركزت فيها على الموسيقى الداخلية والخارجية، أما الداخلية تناولت فيها من الوزن و القافية و الروي و أما الخارجية درست فيها التكرار و الطباق و الجناس و التصريح وأنهيت بحثي بخاتمة أبرزت فيها أهم ما وصلت إليه هذه الدراسة. وقد استعنت في بحثي بمجموعة من المصادر والمراجع والتي سنذكر منها:

- إيليا الحاوي شرح ديوان أبي تمام (ضبط معانيه وشروحه وأكملها)
- شوقي ضيف تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الأول)
- يحيى الجبوري محمد بن عبد الملك الزيات (سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه)
- عمر الفروخ أبو تمام (شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله)
- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)

ومن الصعوبات التي واجهتني قلة المصادر التي تتحدث عن الوزير عبد الملك محمد بن عبد الزيات، إذ لم أجد سوى مرجعين فيهما معلومات متشابهة جدا وقليلة.

وفي الأخير نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا خالصا لوجهه فإن أصبنا في ذلك غاية المقصد ومنتهى الأمل وإن كان غير ذلك فحسبنا إخلاص النية وما توفيقى إلا بالله العزيز.

كما لا يسعني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى أستاذتي المشرفة: منال رواج على ما بذلته من جهد معي طوال إشرافها على البحث، كذلك شكرنا موصول الى السادة الأساتذة هيئة التدريس في قسم اللغة والأدب العربي الذين لولا جهود ما بلغنا هذه المنزلة.

وأخيرا نقدم الشكر الجزيل للجنة المناقشة التي تكلفت عناء قراءة بحثنا وتنقيحه وإسداد الملاحظات.



---

# المدخل:

---

## المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الأول

أولاً: المظاهر السياسية

ثانياً: المظاهر الاجتماعية

ثالثاً: المظاهر الثقافية

## مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي:

يعد العصر العباسي من أبرز العصور في التاريخ الإسلامي، حيث شهدت الدولة الإسلامية خلاله نهضة شاملة في مختلف المجالات، كالعلم والأدب والفكر والعمارة. فقد تميز هذا العصر اتساع رقعة الدولة واستقرارها في بداياته، مما أتاح للمجتمع فرصة للازدهار والتطور. وقد كانت بغداد عاصمة الخلافة، مركزا حضاريا عالميا جذب العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم، مما جعل العصر العباسي يُعرف بعصر التقدم والازدهار الثقافي والعلمي.

أثر الرقي والازدهار الذي شهده العصر العباسي تأثيرا كبيرا على الشعراء وأدبهم، فقد وفرت البيئة المزدهرة من مجالس العلم والأدب ورعاية الخلفاء والامراء، فرصة للشعراء لبيدعوا ويجددوا في أساليبهم وموضوعاتهم. فلم يعد الشعر مقتصرًا على الفخر والمدح، بل تناول موضوعات جديدة كما ظهرت تيارات شعرية متأثرة بالثقافات المختلفة التي احتضنتها بغداد، فازدهر الشعر الحضري وتطورت اللغة الشعرية والأساليب البلاغية. ومن أبرز شعراء هذه الفترة: أبو نواس في شعره الخمري والمتبني في فخره وحكمته وأبو تمام في التجديد بالصور والمعاني.

### أولا-المظاهر السياسية:

شهد العصر العباسي تحولات كبيرة في مختلف جوانب الحياة، لاسيما في الجانب السياسي وقد تميز هذا العصر باتساع رقعة الدولة، وتنوع الشعوب والثقافات تحت مظلتها، مما أثر بشكل مباشر على طبيعة الحكم ونظام الإدارة.

### أولا-المظاهر السياسية:

شهد العصر العباسي تحولات كبيرة في مختلف جوانب الحياة، لاسيما في الجانب السياسي وقد تميز هذا العصر باتساع رقعة الدولة، وتنوع الشعوب والثقافات تحت مظلتها، مما أثر بشكل مباشر على طبيعة الحكم ونظام الإدارة.

### 1-قيام الدولة العباسية:

قامت الدولة العباسية على أثر دعاية سرية اتخذت من حق بني هاشم الشرعي في الخلافة صيحتها السياسية<sup>1</sup>. وذلك لتخليص الموالي الفرس وغير الفرس من حكم بني أمية الجائر رغم

1-عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة، بغداد، 1945، ص: 10.

هذه الدعاية. ولتحقيق المساواة المشروعة بحكم الإسلام بينهم وبين العرب في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.<sup>1</sup> وباتخاذ الكتاب والسنة والعدل قانونا بينهم.

أخذ الخلفاء يحيطون أنفسهم بالفقهاء ويقربونهم ليظهروا تمسكهم بالدين وقد أوصى المنصور ابنه المهدي بقوله: "وأهل الدين فليكونوا أعضادك" ويظهرون غيرتهم بمحاربتهم للإلحاد والزندقة ويؤكدون في مراسيمهم النواحي الدينية فصارت بردة النبي صلى الله عليه وسلم الشارة الأولى للخلافة يرتديها الخليفة في المناسبات العامة كصلاة العيدين والجمعة وفي الجهاد وكذا في اتخاذ لقب الامام الذي كان المأمون أول من اتخذه رسمياً.<sup>2</sup>

تميز العصر العباسي الأول بعصر النفوذ الفارسي أو بعصر الخلفاء العباسيين العظماء، حيث ابتدأ هذا العصر بخلافة العباس السفاح وانتهى بخلافة الواثق،<sup>3</sup> وقد تمتع الفرس في العصر العباسي بمكانة مرموقة في الدولة حيث سيطروا على الجهازين الإداري والعسكري في بغداد والاقاليم الخاضعة لنفوذ الخلافة فأحكموا قبضتهم على قيادة الجيوش والمناصب الإدارية الكبرى كالوزارة والولاية على البلدان والكتابة، كما تميز بقوة الخلافة واستقلالها التام وتركيز السلطات العليا في الدولة بيد الخلفاء الذين تمتعوا بقدرات شخصية وإدارية فذة، استطاعوا من خلالها المحافظة على وحدة الدولة وإخماد الثورات والفتن.<sup>4</sup> فما واجهه العباسيون في العصر العباسي الأول من مشكلات داخلية وخارجية لم يمنعهم من الارتقاء بدولتهم الى مستوى عال من المقدرة السياسية والحضارية، فبنوا مدينة بغداد في عهد المنصور سنة 145 هـ حيث كانت أكبر الحواضر الإسلامية، ومركزاً تجارياً مزدهراً.<sup>5</sup> وبنى المعتصم سامراء سنة 221 هـ وجعلها قاعدة للدولة.

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ط2، دار المعارف، مصر، ص: 9.

<sup>2</sup> - عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ص: 46.

<sup>3</sup> - السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ج3، ص: 6.

<sup>4</sup> - محمد سهيل قطوش، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، لبنان، 2009، ص: 33.

<sup>5</sup> - محمد سهيل قطوش، تاريخ الدولة العباسية، ص: 10.

## 2-النظم السياسية والإدارية:

أخذ العباسيون يلقون على شاكلة الساسانيين في وعي الناس أنهم أصحاب حق إلهي في الحكم واحاطوا أنفسهم على مثالهم بنظام تشريعات معقد مختفين عن أعين الناس وراء أستار صفيقة، ومتخذين كثيرين من الحجاب أو رؤساء التشريفات. وبذلك لم يعد العرب يدخلون على الخلفاء كما أرادوا كما كان الشأن في عصر بني أمية، بل لابد لهم قبل الدخول عليهم استئذان هؤلاء الحجاب، وكانت كثرتهم من الاعاجم الذين احتكروا لأنفسهم أكثر شؤون الحكم.<sup>1</sup>

كما اخذ العباسيون عن ملك بني ساسان من النظم الإدارية والسياسية نظام الوزارة فاتخذوه لأول مرة في تاريخ الخلافة العربية، واطلقوا على صاحبه اسم الوزير،" وأسندوا منصب الوزارة وقيادة الجيش الى الفرس"<sup>2</sup>، وقلما نجد للعباسيين وزيرا غير فارسي، وقد أحكموا للعباسيين هذا النظام وصاغوه على قوانينه الساسانية. وأول من اتخذه العباسيون وزيرا منهم أبو سلمة الخلال حتى إذ نحبه اتخذ السفاح بعده خالد بن برمك.<sup>3</sup> من هنا يمكن القول بأن النظم السياسية والإدارية في الدولة العباسية قد طبعت بطابع فارسية قوية، مما ساعد في تثبيت السلطة والقضاء على المنشقين والمعارضين.

## ثانيا-المظاهر الاجتماعية:

عرف العصر العباسي نهضة حضارية وثقافية شاملة أثرت بشكل عميق في بنية المجتمع، وأسهمت في تشكيل أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية. ومع اتساع رقعة الدولة

والفضائل، والميل العباسية وامتدادها من الشرق الى الغرب، أصبحت العاصمة بغداد مركزا عالميا للعلم والثقافة والتجارة، مما أدى الى تمازج واسع بين الشعوب والثقافات. أدى هذا

<sup>1</sup>- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ج1، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 عمان، الأردن، ج1، 2003، ص: 72

<sup>2</sup>- سامي يوسف أبو زيد، الادب العباسي الشعر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، ط1، 2011، ص: 19.

<sup>3</sup>-ينظر شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط16، 2004، ص: 22.23.

التنوع العرقي والثقافي الى نشوء مجتمع متعدد الطبقات والاعراق، يضم العرب والفرس والترك والسرمان والأكراد وغيرهم.

## 1- الحضارة والتراء والترف:

لما قام العباسيون بنقل الخلافة الى العراق غلبت عليهم الحضارة الساسانية و غلبت ما كان بالعراق من عناصر آرامية و كلدانية، ويظهر هذا التأثير في بناء بغداد إذ أقامها المنصور مستديرة على شاكلة طيسيفون المعروفة باسم المدائن حاضرة الساسانيين وقصره الذي يعرف بقصر الذهب أقامه على طراز قصورهم ذات الأوارين الفخمة<sup>1</sup> وقد سار الخلفاء والوزراء والقواد ورجال الدولة على النهج الذي نهجه المنصور في "تشيد الدور والقصور والتأنق في العمارة وزخارفها وجلبوا أمهر البنائين لهذا الشأن، وكانت قصورهم زاخرة بأنواع التحف الثمينة والبسط الفارسية وأواني الذهب والفضة".<sup>2</sup>

## 2 -الرقيق والجواري والغناء :

عرف العصر العباسي انتشارا للجواري والرقيق والذي كان امتدادا لما عرفته المجتمعات السابقة من تجارة العبيد، فكانوا يستخدمون في أعمال متنوعة من الخدمة في البيوت الى العمل في الزراعة والجيش وحتى في القصور، كما برز دور الجواري بشكل خاص في مجال الغناء والطرب وكن يؤدين في مجالس الخلفاء والامراء حيث أصبحت وسيلة آنذاك للترفيه. لقد أشاعت الجواري "الظرف والرقعة في المجتمع العباسي، فاهتم الناس بالحدائق وزرعوها بالورد والرياحين وقد جعلوا من الزهور وسائل للتعبير عن الود والمحبة".<sup>3</sup> ومنهن انتشرت موجة اللهو والمجون والغناء، ومن دلائل ذلك " الجارية التي كانت تحسن الغناء تباع بثمن باهظ جدا وصل مائة ألف درهم".<sup>4</sup>

## ثالثا-المظاهر الثقافية:

1-شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، النيل، القاهرة، الطبعة 8 ، ص: 44 .

2- مصطفى السيوفي ، تاريخ الابد-دب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة -مصر، ط1، 2008، ص:

3- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 58 .

4- مصطفى السيوفي، تاريخ الادب في العصر العباسي، ص: 20 .

تعد الحياة الثقافية مرآة تعكس تطور المجتمعات وتحولاتها عبر الزمن، فهي تشمل مجموع القيم والعادات والتقاليد والمعارف التي ينتجها الانسان اذ يعد العصر العباسي من أزهى العصور في التاريخ الإسلامي من حيث الازدهار الثقافي والفكري، فقد شهدت الحياة الثقافية خلاله تطوراً غير مسبوق نتيجة الاستقرار السياسي واتساع رقعة الدولة واحتكاك المسلمين بحضارات متعددة كالفارسية، واليونانية، وقد أولى الخلفاء العباسيون اهتماماً بالغاً بالعلم والمعرفة وتتجلى هذه المظاهر فيما يلي:

### 1-الحركة العلمية:

اجتمعت الأسباب كلها لتجعل الدولة العباسية أهل درس وتدارس وشغف بالعلم قديمه وجديده، ساعدهم في ذلك اختلاط الاجناس وبالتالي تنوع الثقافات وتعدد المناهل اذ دفعهم دفعا قويا إلى العلم والتعلم، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العلوم اللغوية والدينية توضع أصولها، حيث " شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير"<sup>1</sup>، ونهض التعليم في العصر العباسي الأول نهضة واسعة وعادة كان الناشئ يبدأ بالتعلم في الكتاتيب حيث يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الحساب وبعض الأشعار والأمثال.

كما أغدق الخلفاء ووزرائهم والولاة وكبار القواد عطاياهم على طائفة العلماء المتخصصين، وكان أول من سن ذلك وجعله تقليدا للدولة المهدي، واحتذاه في ذلك ابنه الرشيد وكان المأمون سحابة منهلة على العلماء والمتكلمين، وليس من شك في أن هذا الصنيع كان من أهم الأسباب في ازدهار الحركة العلمية بالمساجد، إذ كان من يبرز نجمه في حلقاتها لا يلبث أن يستدعي إلى دار الخلافة أو دار الولاية أو دور الوزراء.<sup>2</sup>

### 2-حركة الترجمة:

تعد حركة الترجمة من أهم الأنشطة الفكرية التي وجدت في العالم العربي والإسلامي حيث كانت الدعامة الأولى لمواجهة الفكر الحضاري بفكر حضاري آخر يفهم معنى مقومات الحضارة،

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 58 .

<sup>2</sup> - ينظر المصدر نفسه، ص: 102 .

ومع تطور الدولة العباسية وازدهارها اقتصاديا واستقرارها سياسيا بعد إخماد الثورات التي قامت ضد الخليفة المنصور، ظهرت الحاجة الى حركة الترجمة باعتبارها الجسر الذي تَعَبَّرُ منه ثقافة وحضارة أمة الى أمة، كما تُظْهِر الترجمة على مدى تقدم هذه الامة ثقافيا وعلميا. وانقسمت حركة الترجمة الى ثلاثة أطوار:

الطور الأول: " يبدأ من خلافة المنصور إلى عهد الرشيد، أي من عام 136 هـ حتى عام 193 هـ، وقد مضى عهد السفاح دون عناية منه بالترجمة لقصر حكمه، ولشغله الشاغل بتأسيس الدولة وتوطيد أركان الخلافة العباسية.<sup>1</sup>"

الطور الثاني: " يبدأ ببداية حكم المأمون وينتهي بنهايته، وكان المأمون عالما متضلعا واسع الثقافة كثير الاطلاع، وكان نهمه العقلي لا حد له وقد أولى الترجمة عنايته الشديدة واهتمامه البعيد، فأوفد الرسل إلى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين لنسخها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك، وأنشأ في بغداد في مدرسة لتخريج الترجمة، وجعل من شروط الصلح بينه وبين ملك القسطنطينية أن يرسل إليه مجموعة من الكتب النادرة ومن المترجمين في عهده: الحجاج بن يوسف مطر، ويوحنا البطريق، ويوحنا بن ماسويه وهم من مترجمين من اليونانية.<sup>2</sup>"

الطور الثالث: فيبدأ بخلافة المعتصم وينتهي بقتل المتوكل عام 247 هـ ففي عصر المتوكل فترت حركة الترجمة، إذ لم يكن للخليفة تحصيل في العلم أو رغبة في المشاركة فيه.<sup>3</sup> وجاء بعده الواثق " وكان ذكيا، واسع الاطلاع، كبير الثقافة، يشجع العلم والعلماء فنشطت الترجمة في عهده واستعادت بعض ما كان لها قبل نشاط، وإن أكثر ما ترجم في عصره الأسفار والخرافات، وفي عهدي المتوكل على الله تمت ترجمة العلوم النافعة، كالطب والنبات والنجوم، لأنها كانت

<sup>1</sup> - محمد عبد المنعم خفاجي، الاداب العربية في العصر العباسي الأول، ص: 54 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 56 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 56 .

تزوج عند الخليفة وتلقى تشجيعا وعظفا، وكان المتوكل آخر الخلفاء الذين أزروا حركة الترجمة، وأعانوا على نقل علوم الأمم الى العربية.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>-محمد عبد المنعم خفاجي، في العصر العباسي الأول، ص: 57 .



---

# الفصل الأول:

---

## الدراسة النظرية

أولاً: التعريف بالشاعر أبي تمام الطائي

ثانياً: مفهوم المدح وتطوره

ثالثاً: التعريف محمد بن عبد الملك الزيات

## أولاً-التعريف بأبي تمام الطائي:

تمهيد:

يعرف العصر العباسي من أزهى العصور الأدبية التي شهدت ازدهارا كبيرا في مجالات الفكر والثقافة وبرز فيه عدد من الشعراء الذين تركوا بصمتهم الواضحة في تاريخ الادب العربي، ومن بين هؤلاء الشعراء تميز أبو تمام بمكانة خاصة لما حمله شعره من تجديد في المعاني وابتكار في الصور والأساليب فلقد حظي باهتمام النقاد والدارسين المحدثين وقبل الخوض في دراسة قصيدة أبي تمام نبدأ أولاً بإلقاء نظرة على حياته.

### 1-سيرته:

هو حبيب بن جاسم بن أوس الطائي ولد بقرية جاسم بقرب دمشق على الطريق منها الى طبرية، ولقد اختلف الرواة في سن ولادته فمنهم من جعلها عام 172هـ وقيل 182 هـ أم عام 188هـ أو عام 193 هـ وذكر أنه ولد عام 190هـ ونسبه متدافع في بني طي و زعم أن كان نبطيا أو أنه كان نصرانيا من بني تدوس وقد نقل التسمية الى بني طي وذهب طه حسين الى أنه يوناني الأصل وعلى ذلك ابتنى مذهبه في شعره. الا أن الأرجح أن نسبه ثابت في طي وكان يفخر بها غاية الفخر ويمتدح زعماءها وينسب إليهم عبر المدائح بنسب مقيم ثابت<sup>1</sup>

### 2-اسمه ونسبه:

هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مزينا بن سهم بن ملحان بن مروان بن دفاقة من بني مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمر بن الحارث بن طيء (واسمه جلهم) بن أدبن يزيد بن يشحب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان<sup>2</sup>

ولد حبيب ،على ما قال هو عن نفسه، سنة 190 هـ في جاسم ولكن نشأته كانت في مصر اذ حمله أبوه اليها على فقر وخصاصة ،وترعرع في مجالس العلم والادب من المساجد ،وهي يومئذ موثق العلماء ومبعث فضلهم ،وسقى الماء بالجامع صغيرا ،وخدم حائكا هناك كما

<sup>1</sup> - إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 7

<sup>2</sup> - إبراهيم السمرى (حياته، وعصره، وشعره) محافظة الغربية، السنطة، 24. 8. 2018، ص 77

فعل من قبل في دمشق ،ولكن ذكاؤه وعبقريته أبتا عليه إلا أن يجول في مراتع الشعر والعلم ،وماهي إلا سنوات ضنك خمس يقضيها على تلك الحال من الطلب حتى يصبح شاعرا مهارشا ،معتمدا بنفسه يهاجم شاعرا مصريا هو يوسف السراج ويهجوه ،ولا يفتر عن مجالسة أهل العلم والادب ،حتى شهر أمره ،وعرف عند الولاة والامراء ،ونال جوائزهم ،وأحلوه المراتب العالية وإذا هو يرتحل في المملكة الإسلامية ما بين مشرقها ومغربها :يقد على المأمون مادحا مكرما ،ويستدعيه المعتصم مجلا لقدره ،مقدرا لنبوعه ،وهو حينما في مكة يحج البيت ،وطورا في خراسان يمدح عبد الله بن طاهر بن الحسين ،وانا في أرمينية عند خالد بن يزيد أو في الجبل عند محمد بن الهيثم ،ويزور نيسابور والموصل ،فهو أبدا أليفا الاسفار ،مغرم بالرحلات ،مقدم عند العظماء يوسعونه إكراما ،ويجودهم بفيض إلهامه ،حتى إذا أراد أن يصور نفسه لم يجد أبلغ من قوله :

وبالشام أهلي، بغداد الهوى، وأنا بالرقمين، والفسطاط إخواني

وله في هذه الرحلات أخبار كثيرة وشؤون مختلفة تدل على عظيم مكانته في العلم والشعر والحياة<sup>1</sup>

### 3- صفاته وثقافته:

كان أبو تمام "أسمر طويلا فصيحاً حلو الكلام فيه متممة يسيرة"<sup>2</sup>، وكان "عالي الهمة حسن الخلق، حسن المعاشرة، كريم الطبع غير بخيل بما في يده، كثير الشفقة والحنو حاد الذهن جدا حاضر الجواب، سريع الانتقال مولعا بالافتخار بقومه وعشيرته وعروبته، ولا يكون ذلك إلا ممن هو كبير النفس عالي الهمة"<sup>3</sup>، فهو يقول<sup>4</sup>

سافر بطرفك إلا أقصى مكارمنا إن لم يكن لك في تأسيسها سفر

<sup>1</sup> - جميل سلطان، أبي تمام، المطبعة الهاشمية بدمشق، 1369هـ - 1950م، ص 9

<sup>2</sup> - ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د-ط)، (د-ت)، مج 2، ص: 17

<sup>3</sup> - محمد الأمين، أبو تمام حياته وشعره، تح: حسن الأمين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1425هـ - 2004م، ص: 18

<sup>4</sup> - إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، ص: 284.

هل أوراق المجد إلا في بني أدِّ أوجتني منه لولا طي ثمر؟

لولا أحاديث بقتها ما ثرنا من الندى و الردى لم يعجب السمر

ولابي تمام "مزيتان بارزتان": صبره على المشاق لبلوغ المنى، وشدة عفوانه وإعجابه بنفسه. يضاف إلى ذلك ميله إلى الإسراف في المال والقوى (...). فليس من الغريب أن نسمعه يقول:

دعيني على أخلاقي الصم للتي هي الوافر أو سرب ترن نوادبه<sup>1</sup>

وعرف بحضور وسرعة بديهته، ولخير مثال على ذلك "قصته مع أحمد المعتصم حين مدحه بقصيدته سينية مثلاً حياً لحضور بديهة الشاعر وحدتها إلى المدى الذي جعل الكندي الفيلسوف الطبيب - وكان حاضراً إنشاد القصيدة - يتنبأ بقصر عمر أبي تمام"<sup>2</sup> (فلما انتهى فيها إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال له الوزير: أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب؟، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وأنشده:

لا تُنْكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فأله قد ضرب الأقل لنور مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال الوزير للخليفة: أي شيء يطلبه فأعطه، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر (...) ولما أخذت

<sup>1</sup> - أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط7، 17، أغسطس، 1989م، ص: 189

<sup>2</sup> - مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم والملايين، بيروت-لبنان، ط6، 1986م، ص: 639

القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين، فعجبوا من سرعته وفطنته<sup>1</sup>، وهذا يدل أيضا على قدرته في ارتجال الشعر.

وكانت بداية تعلمه وتنقفه عندما "انتهاز فرصة وجوده بالمسجد الجامع، يسقي الماء ليزداد علما: كان يلزم حلقات الأدب خاصة، فإذا طلب شربة ماء سقاه ثم رجع الى مكانه الأول يستمتع إلى إملاء الأديب أو مناقشة أصحابه"<sup>2</sup>، وقد تحدث ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء عن شدة اهتمام أبي تمام بالكتب وولعه بها في قوله: "حدثني أبو الغصن محمد بن قدامة قال: دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى، فوقفت ساعة لا أعلم بمكاني لما هو فيه، ثم رفع رأسه فنظر إلي وسلم علي، فقلت له: يا أبا تمام إنك لتتظر في الكتب كثيرا وتدمن الدرس فما أصبرك عليها؟ فقال: والله ما لي إلف غيرها ولا لذة سواها، وإنني لجليق إن أُنْفَقَها أن أحسن."<sup>3</sup>

أيضا "احتذى أبو تمام شعر ديك الجن فاكتسب منه الصناعة اللفظية وسار بها شوطا بعيدا حتى نسب إليه، وحتى قال النقاد: إن الجن يتبع مذهب أبي تمام، بدلا من قولهم: إن أبا تمام يقتني مذهب ديك الجن."<sup>4</sup>

وجمع إلى ذلك اهتماما بعلوم الأوائل من فلسفة اليونان وعلوم الفرس، فتأثر شعره بهذه الثقافات فتنوعت معانيه، وعمت أفكاره، وظهرت عليه اثار الجدل وتفتيق القول، من قوله:

هب من له شيء يريد حجابَه      ما بال لا شيء عليه حجاب.

#### 4- شعره:

<sup>1</sup> - ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 2، ص: 15

<sup>2</sup> - عمر الفروخ، أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله (دراسة تحليلية)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1383هـ -

1964م، ص: 27

<sup>3</sup> - ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط4، 1977م، ص: 284

<sup>4</sup> - عمر الفروخ، أبو تمام (شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله)، مطبعة بيروت، ط1، 1353 - 1935م، ص: 12

لأبي تمام ديوان ضخم طبع في بيروت ومصر عدة طبعات يحتوي على الغزل والمديح والفخر والوصف والرياء والعتاب والهجاء والوعظ وما أريد أن أقف عند غزل أبي تمام لأنه لا يمثل

شعورا حقيقيا أو عاطفة صادقة، وهو إن مثل شيئا فإنما هو العبت والمجون وما اريد كذلك أن أقف عند عتابه أو وعظه لأنه ليس في هذين البابين ما يستوقف الباحث.<sup>1</sup>

أما الحديث عن مديحه: كان أحسن شعره وأجوده كما أنه أكثره بيد أنه مما يؤسف ان أبا تمام لا يتوخى الحقيقة ولا يلتزم الصدق في مديحه وإنما يمدح الناس بما يعجبهم أن يمدحهم به وبما يعجبه هو أيضا أن يمدحهم به. ولسنا نظلم أبا تمام عندما نشهد عليه بالكذب فهو يقول لعمر بن طوق التغلبي بصريح العبارة:

ومتى مدحت سواك كنت متى يضق = عني له صدق المقالة أكذب

ويصرح في أهاجيه لممدوحيه القدمات بأنه كذب في مديحهم كذبا لا غبار عليه.<sup>2</sup>

## 5-وفاته:

اختلف الرواة في سنة وفاة أبي تمام، فقد ذكر في كتاب أبي تمام للصولي أن أبا تمام مات في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ودفن بالموصل في قوله: حدثني محمد بن موسى قال: عني الحسن بن وهب بأبي تمام، وكان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات فولاه الموصل، فأقام بها سنة، ومات في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، ودفن بالموصل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد مهدي البصير، في الادب العباسي، مطبعة السعدي، بغداد، الطبعة الثانية، 1955، ص: 206.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 216، 217.

<sup>3</sup> - الصولي (أبي بكر محمد بن يحيى): أخبار أبي تمام، تح، خليل محمود عساكر وآخرون، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط3،

1400 هـ - 1980 م، ص: 272

وقيل أيضا "أن أبا تمام مات بالموصل، في المحرم سنة اثنين وثلاثين ومائتين" <sup>1</sup> و"دفن أبو تمام في الموصل، خارج الميدان على حافة الخندق، وتقول العامة: هذا قبر تمام الشاعر. وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة عليه. أما اليوم فإن رفاتة في حديقة البلدية في ضريح ضخم." <sup>2</sup>

## 6-أثاره:

أبو تمام "شاعر مؤلف، اعتنى باختيار منتقيات شعرية في مختلف العصور الأدبية التي سبقته فكان بذلك أول شاعر عني بالتأليف" <sup>3</sup>، وقد أشار ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان إلى مؤلفاته "كتاب الحماسة" التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع آخر سماه "فحول الشعراء" جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء، هذه معظم مؤلفات أبي تمام، إلى جانب أنه كان شاعرا مغورا لا يشق له غبار، سعى إلى التجديد في شعره شكلا ومضمونا.

<sup>1</sup> - الصولي (أبي بكر محمد بن يحيى)، أخبار أبي تمام، تح: خليل محمود عساكر وآخرون، ص: 273

<sup>2</sup> - عمر الفروخ، أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله (دراسة تحليلية)، ص: 19

<sup>3</sup> - الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى)، شرح ديوان أبي تمام، تح: إبراهيم نادن، قدم له وراجع: محمد بنشريف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1425هـ - 2004م، ج1، ص: 17

## ثانياً- مفهوم المدح وتطوره

### تمهيد:

المدح من أبرز الأغراض التي عرفها الشعر العربي منذ الجاهلية، وقد ارتبط هذا الغرض بمكانة الكلمة في المجتمع العربي، حيث كانت القصيدة وسيلة لإظهار الفخر وتعزيز القيم وكسب رضا الممدوح. ولا يقتصر المدح على مجرد الإشادة بل يتعدى ذلك ليؤدي أدواراً متعددة منها التقرب من ذوي الشأن وتخليد المواقف النبيلة وتأكيد القيم الأخلاقية التي يُعليها المجتمع. لذا فالمدح ليس مجرد ثناء لفظي، بل هو صورة ثقافية وأدبية تعبر عن نظرة الشاعر لعصره، وموقفه من الممدوح وتعكس طبيعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية في مختلف العصور.

### 1- مفهوم المدح:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء يقال مَدَحْتُهُ، مِدْحَةً واحدة ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومِدْحَةً هذا قول بعضهم والصحيح ان المدح المصدر والمَدْحَةُ الاسم والجمع مَدَحٌ هو المديح والجمع المدائح والاماديح

قال أبو ذؤيب

لو كان مِدْحُهُ حَيٍّ مُنْتَشِراً أَحْداً      أَحْيَا أَبَاكُنَّ يَالَيْلَى الْإِمَادِيحِ

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة وجل مادح من قوم مدح ومديح وممدوح.<sup>1</sup>

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين: مدح: المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء والمدحه وجمعه مدائح ومدائح ومِدْحٌ يقال: مَدَحْتُهُ وَاْمَدَحْتُهُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت لبنان، ط1 (طبعة جديدة ومنقحة)، 1427هـ-2006م، ج 14 ص: 46

<sup>2</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (مرتبا على حروف المعجم) تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج4، ص: 126



وجاء مصطلح المدح في قاموس المحيط للفيروز أبادي: "مدحه كمنعه مدحاً ومدحه، أحسن الثناء عليه كمدحه وامتدحه، تمدحه والمديح والمدحة والامدوحة ماي مدح به جمع مدائح وأماديح وممدح كمحمد ممدوح جداً.

وتمدح: تكلف ان يمدح وافتخر وتشبع بما ليس عنده الأرض -والحاضرة اتسعت كامتدحت لغة في اندحت.<sup>1</sup>

أما في أساس البلاغة للزمخشري عرفه فقال: مدح مدحه وامتدحه وفلان ممدوح وممدح وممدح يمدح بكل لسان ومادحه وتمادحوا ويقال التمداح، التذابح والعرب بالسحاء وهو يتمدح الى الناس يطلب مدحهم الى الناس وعندي مدح حسن ومديح ومدائح ومدحه ومدح وممدحه وممادح وممدوحه وأماديح.<sup>2</sup>

ومما سبق يمكننا تحديد المعنى اللغوي على أنه الثناء والاطراء والتمجيد

**اصطلاحاً:** أما مفهوم المدح من الناحية الاصطلاحية فقد جاءت في عدة تعريفات أهمها:

فن من فنون الأدب لاسيما في الشعر وقد راج في كثير من العصور القديمة بخاصة قبل أن يهتدي الشاعر أو الكاتب الى فهم حقيقة رسالته في المجتمع فكان يبذل ما وجهه على أبواب المنفذين في سبيل التكسب حتى ان مشاهير الشعراء العرب مثل المتنبي، مع ما عرفوا به من عنفوان واعتزاز بالنفس. لم يتورعوا عن أصباغ أجمل الصفات على من يستحقونها للحصول على مال أو مقام مرموق.<sup>3</sup>

المدح من فنون الشعر غالباً، قديم الظهور وله عدة أسباب منها التكسب حيث كان الشعراء يتنافسون في تجميع الخصال الحميدة للملوك، الامراء، الخلفاء، وذوي الجاه فإظهارها في أبهى

<sup>1</sup> - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2008، مج 1، ص: 1516.

<sup>2</sup> - أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1991، ج2، ص: 199

<sup>3</sup> - جبور عبد النور، المعجم العربي، دار الملاين، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص: 245.

حلة ليققطع ما أمكن من الأموال الهدايا والمناصب المرموقة وفي هذه الحالة كان المدح وسيلة لتزييف الحقيقة تعبر في الغالب عن خوف الناس من الملك وبطشه.

وفي سياق آخر يعرفه "ناصيف اميل في كتابه، أروع ما قيل في المديح على أنه:" فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب ويعبر عن شعور-تجاه فرد من الأفراد أو جماعة أو هيئة -ملك على الشاعر إحساسه وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام بمعنى جعله موضع مديحه وفي هذا الفن من الشعر تعداد للمزايا الجميلة، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافقت فيهم تلك المزايا وعُرفوا بمثل هاتيك الصفات والشمائل.<sup>1</sup>

## 2-تطور المدح:

عرف المدح تطوراً عبر العصور فقد تنوعت أغراضه ومقاصده من عصر الى اخر فنجد:

### أ-المدح في العصر الجاهلي:

نظم شعراء الجاهلية العديد من القصائد في المدح بدافع الاعجاب بالفضائل والتغني بمكارم الأخلاق من حسن ضيافة وشجاعة وصحة النسب، وكان للشاعر في الجاهلية مكانة كبيرة بين أفراد قبيلته.

شهد المدح في الجاهلية تطوراً، وهذا راجع لعدة أسباب ذكرها (سراج الدين محمد) قائلاً: أصبح صناعة يبتغيها الملوك والزملاء فأدرك هؤلاء أثر الشعر في تحقيق أهدافهم فقربوا الشعراء إليهم وأغدقوهم بالمال، خاصة المناذرة والغساسنة ففتحوا قصورهم للشعراء الذين تنافسوا في مدحهم فاستطابوا بذلك العيش.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص: 09

1-سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون والمديح في الشعر، دار راتب الجامعية، بيروت، لبنان، 2014، ص:10<sup>2</sup>-إميل ناصيف، أروع ما قيل

ومن أشهر شعراء المدح في هذا العصر (النابعة الذبياني) الذي اختص في المدح الغساسنة ومثال ذلك قوله مادحا أحد ملوكهم:

أخلاق مجدك جلت مالها خطر في البأس والجود بين العلم والخبز متوج

بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضبغم في صورة القمر<sup>1</sup>

ب- المدح في صدر الإسلام:

بقدم الإسلام طراً في تطور في الشعر، فهناك بعض الأغراض رفضت، وهناك ما هذب وعُدل بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية

فاتجه الشعراء في هذا العصر إلى مدح الرسول والدفاع عن الإسلام، (فمع الإسلام استمر المدح الذي يتغنى بالفضائل ودخلته تشبعات متنوعة تمدح الرسول وقادة الفتوحات كما دخلته معان جديدة كالعدل وإيتاء الزكاة والحج والصوم والجهاد والتقوى، كدليل لارتباط الشعر عامة بالواقع).<sup>2</sup>

مع انتشار الإسلام خفت صوت الشعر لأن الناس انشغلوا بالدين الجديد وبهتوا ببلاغة القرآن الكريم، كما اتجهوا إلى الفتوحات ونشر تعاليم الدين الإسلامي عبر الأمصار:

ومن أشهر القصائد المدحية التي قيل في هذه الحقبة قصيدة البردة (لكعب بن زهير) مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

فلما بلغ قول:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- النابعة الذبياني، الديوان، شرح عباس عبد السائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص:43

<sup>2</sup>- النابعة الذبياني، مقدمة الديوان، ص:21.

<sup>3</sup>- كعب بن زهير، الديوان، تح: علي الناعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، ص:106.

فوهب له الرسول صلى الله عليه وسلم بردته وعفا عنه لهذا سميت بالبردة

كما ظهر في هذا العصر شاعرا اخر اشتهر بقصائد يمدح فيها النبي، ويهجو فيها كفار قريش دفاعا عن الإسلام والمسلمين، وهو (حسان بن ثابت) الذي يسمى شاعر الرسول ومن أجمل ما نظم في مدح الرسول قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء<sup>1</sup>

### ج- المدح في العصر الأموي

المدح غرض قديم من أغراض الشعر انتشر في العصر الجاهلي والإسلامي، وكان المرء يُمدح لشجاعته وكرمه. ولكن مع بداية العصر الأموي تغيرت صفات الممدوح المتأثرة بالحياة السياسية، والانقسام الذي حصل بين مؤيدين لحكم بني أمية وبين معارضين له. فأصبح الشغل الشاغل الشعراء التقرب من الخليفة لتحقيق المصلحة الذاتية.

كما تعددت أسباب المدح في العصر الأموي. يمكننا أن نلخص ذلك في سببين رئيسيين وهم:

-السبب الأول انقسامات المذاهب وصراعات بين القبائل. كما كان العديد من الخلفاء يشجعون الشعراء على الإلقاء القصائد المدحية فيهم. فكان الشعراء يتغنون بهم وبأفعالهم وأمجادهم

-أما السبب الثاني فهناك عدد من الشعراء مدحوا الملوك بغية كسب المال، وجزء اخر مدح الشعراء خوفا من بطشهم وجبروتهم.<sup>2</sup>

ومن أبرز الشعراء الذين مالوا في شعرهم إلى المدح في العصر الأموي (جرير، الأخطل الشمقمق، الفرزدق، النابغة

<sup>1</sup>- حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت لبنان، 1994، ص: 21.

ينظر: أحمد حسن بتسح الاخطل شاعر بني أمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1394، ص: 145-2.

ونذكر بعض النماذج من شعر المدح في هذا العصر مدح الأخطل ل (يزيد بن معاوية) يقول:

صحا القلب إلا من طعائن فاتني بهن أمير مستبد فأصعدا

فقربن للبين الجمال وزينت بأحمر من لك العراق وأسودا

#### د- المدح في العصر العباسي:

اختلفت البيئة الثقافية والاجتماعية في العصر العباسي، وكان التطور والتغير، هو السمة المميزة لهذا العصر، فبلغ هذا التطور أوجه، وقوته، وشمل مجمل مناحي الحياة.

وانعكس هذا الأمر على الحالة الأدبية والشعرية السائدة في ذلك العصر، وبدأ التجديد في الأغراض الشعرية القائمة، وظهرت أغراض شعرية جديدة.

فإذا ما كان الشاعر يرسم في مدحته صورة أخلاقية مثالية للممدوح، فإن الشاعر في العصر العباسي بدأ يلجأ لتجسيم هذه الصورة، لا لرسمها فحسب، بل لتصبح كأنها تماثيل قائمة نُصِبَ أعين الناس، كي يحتذوها، ويحوزوا لأنفسهم مجامع الحمد والثناء.<sup>1</sup>

والشعر في العصر العباسي أخذ تدريجياً طابع الرسم، فقد وضح فيه عنصر الزمان والحركة، وتدرج اللون، والإحسان بالزمن والايقاع، وإلى قضية التعبير عن قضيتي الجمال والقبح معا.<sup>2</sup>

ونظراً لطبيعة الحياة وما طرأ عليها من تطور، ورقى لجأ الشاعر إلى تأنيق اللفظ، وترصيع المعاني، "ولعل لطبيعة العصر أثراً حاسماً في نزوع الحساسية الشعرية، إلى التأنيق في العبارات، والتدقيق في المعاني."<sup>3</sup>

1- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 160.

2- محمد عبده، أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، الهيئة المصرية للكتاب، ص: 11.

3- ميادة إسبر، شعرية أبي تمام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة -دمشق، 2011، ص: 16.

وللحياة السياسية دورها البارز في إنكاء روح قصيدة المدح في هذه الفترة، فجاءت معززة للقيم السلوكية السليمة، التي لا بد أن يسير عليها الحاكم، أو الخليفة من عدل، وتقوى، وجهاد، وغيرها، وهذه الصفات ألح عليها الشعراء في قصيدة المدح، لأنها مطلب الحكم الرشيد، فالشاعر يعبر عن رؤية إسلامية وأخلاقية ثابتة لا تتغير بتغير الخليفة أو الحاكم.

كما كان للثورات المتعاقبة دورها في نمو هذا الغرض، سواء أكانت الحروب، والثورات الداخلية، أم الخارجية، فأخذت قضية المدح تسجل الانتصارات، والأحداث، وتنسب ما كان فيها من بطولة إلى الممدوح.

كما شاع في هذا العصر فكرة المواءمة بين الممدوح، وصفات المدح، بمعنى اختيار معاني المدح التي تناسب عمل الممدوح ووظيفته.

### ثالثاً - تعريف بابن الزيات (محمد بن عبد الملك الزيات)

#### تمهيد:

يعد ابن الزيات من أبرز الشخصيات التي جمعت بين السياسة والأدب في العصر العباسي، لم يكن مجرد وزير في بلاط الخلفاء، بل كان رجل دولة واسع الثقافة، صاحب ذوق رفيع وميول أدبية واضحة، انعكست في رعايته للأدباء والشعراء ومجالسته لأهل الفكر والعلم.

#### 1-نشأته:

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان، اشتهر بابن الزيات، لأن جده أبانا كان يجلب الزيت من موطنه إلى بغداد متجراً فيه، وأصله من مقاطعة جُبَل جنوبي بغداد ومن قرية تسمى الدسكرة.<sup>1</sup> وأسرة ابن الزيات عربية الأصل، وكان أبوه عبد الملك تاجراً من وجوه تجار الكرخ في بغداد، وكان ثرياً موسراً، وكان يتولى تزويد بلاط المأمون بما يلزمه من الفساطيط و الجمازات

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 559

وما تحتاجه مطابخ القصر من أشياء، ومعنى هذا أنه كان من كبار تجار بغداد المرموقين، وقد نشأ ابنه محمد في هذا العز الموروث القائم على تجارة الزيت في بغداد بجانب الكرخ.<sup>1</sup>

## 2- تاريخ ولادته:

لم نجد في المصادر تحديدا لسنة ولادته، ولكننا نستطيع أن نرجع السنة 789/173م تاريخا لولادته، استدلالا بما قيل من أنه تولى الوزارة للمعتصم سنة 220هـ/837م وكانت سنه آنذاك سبعا وأربعين سنة، وبقي وزيرا للمعتصم ثم الواصل بعده، ثم عدة أيام في زمن المتوكل الذي نكبه ونكل به سنة 233هـ/847م على ما سيجيء.<sup>2</sup>

## 3- عصره وحياته:

أدرك ابن الزيات أواخر أيام الرشيد، وهو في أول شبابه كان في نحو العشرين من العمر، يقول ابن طباطبا عن الرشيد: "لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء، الفقهاء، القضاة، الكتّاب، والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد". وكانت خزائن الرشيد تفيض بالمال. وبغداد كانت جنة الدنيا في عصره، كانت مقصد طلاب العلم والفضل والثراء، كما كانت مقصد طلاب اللذة والمتعة. وقد فُرد لابن الزيات، وبغداد موطنه وعصر الرشيد وما بعده، أن يأخذ حظّه بأوفر نصيب من هذا كله. جرى مع هذا العلم والأدب فكان العالم الأديب، الكاتب الشاعر.<sup>3</sup>

## 4- ميله للأدب:

نشأ يحب الأدب، فأقبل ينهل منه، كما ينهل من علوم اللغة ومن ينابيع الآداب الأجنبية الشائعة في عصره، حتى شدا الشعر ونبغ فيه كما نبغ في النثر. وحاول أبوه أن يصرفه عن هذا الاتجاه إلى التجارة المربحة فكان يصدّه، ويلزم الأدب وطلبه، ويلزم الدواوين

<sup>1</sup> يحيى الجبوري، محمد بن عبد الملك الزيات (سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه)، الطبعة الأولى، عمان، 2002، ص: 9

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 9

<sup>3</sup> جميل سعيد، ديوان (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات)، 20 تموز 1990، ص: 14

محاولا أن يلفت من فيها إلى مهارته الأدبية.<sup>1</sup> فقال له ذات يوم والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك، وليضررك، لأنك تدع عاجل المنفعة وما أنت فيه مكفي، ولك ولأبيك فيه مال وجاه وتطلب الأجل الذي لا تدري فيه .."ويبدو أن محمد لم يثنه قول أبيه هذا عن الادب وعن التعلق به، وأنه رد على أبيه بقوله: "والله؟ لتعلمن أينما ينتفع بما هو فيه؛ أنا أم أنت؟"

قالوا: تم شخص الى الحسن بن سهل "بغم الصلح" والحسن بن سهل، كان المأمون قد ولاه كور الجبال، والعراق، وفارس، والاحواز، واليمن -فامتدحه بقصيدة التي أولها:

**كأنها حين تناءى خطوها أخنس موشئ الشوى يرمى القل**

فأعطاه عشرة درهم، فعاد الى أبيه، فقال له أبوه: لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه<sup>2</sup>

## 5- وزارته:

لقد أعد ابن الزيات نفسه ليكون كاتباً من كتاب الدولة، وكان ذكياً فطنا طموحاً، وكان أول صلته بقصر الخلافة في أيام المعتصم، ويبدو أنه تسلم وظيفة القهرمان والأشراف على المطبخ، وكان يؤهل نفسه لمنصب الكتابة، ولذلك كان يلبس زي الكتاب من لبس السواد وحمل السيف، فذكأوه وشخصيته وحزمه كلها تشير إلى أنه مؤهلاً لهذا المنصب وقد تعدد للوزارة أيضاً، لكن الكتابة أولاً ثم الوزارة، إذ أتاحت له الفرصة فجاءت سريعة وكانت مصادفة، وقد ساعده على ذلك جهل الوزير السابق وضعف تحصيله

ولقد استقبل ابن الزيات الوزارة في عهد المعتصم بقوة وثقة واعتداد واشترط على المعتصم شروطاً قبلها المعتصم واستطاع ابن الزيات بما أوتي من حنكة وحزم أن يكسب ثقة المعتصم، فأطلق يده ليدبر أمور الرعية، وكان المعتصم قليل الحظ من العلم، أقرب إلي الأمية منه إلى التعليم.<sup>3</sup> رأى المعتصم في ابن الزيات ما كان ينقصه، ورأى ابن الزيات في المعتصم ما جعله

<sup>1</sup> -شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 559.

<sup>2</sup> - جميل سعيد، ديوان (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات)، ص: 22.

<sup>3</sup> - ينظر يحيى الجبوري، محمد بن الملك الزيات، ص 10.14



يتعلق به .وفي ابن الزيات نحو من عشرين مقطوعة في مديح المعتصم 'منها قصيدة بخمسين بيتا يحتفل لها ابن الزيات على نحو ما كان يحتفل لشعر المديح في شبابه يشيد بها المعتصم ، ويفصل فيها بذكر حروبه وانتصاراته .توثقت الصلة بينهما واعتمد المعتصم على ابن الزيات في كل ما يتعلق بالكتابة و الإدارة وتدبير الأموال ؛وزاد على هذا بان جعله ينظر في أموره الشخصية والعائلية: كالإشراف على تربية أولاده.<sup>1</sup>

#### 6-مدحه من الشعراء :

فأما من مدحه وأثنى عليه من الكبار، فهما أبو تمام والبحتري، فأما أبو تمام فله جملة قصائد في مدح ابن الزيات منها ما تناول شخصية ابن الزيات، ومنها ما تناول أدبه وأسلوبه باعتباره من الكتاب المبدعين، وحين ننظر في ديوان أبي تمام نجد جملة صالحة من القصائد في مدح ابن الزيات والاشادة بحزمه وشخصيته وبيان فضله من هذه القصائد الرائعة قصيدته التي أولها

قد نابت الجزع من اروية النوب      واستحقت جدة من ربعها الحقب

ألوى بصبرك إخلق اللوى وهفا      بلبك الشوق لما أقفر اللب

وفيهما يعدد صفات ابن الزيات وحزمه وعدله وعلمه وحسن تدبيره والقصيدة طويلة عدتها ستون بيتا يشيد فيها بابن الزيات والخليفة المعتصم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جميل سعيد، ديوان الوزير، ص: 29.

<sup>2</sup> - يحيى الجبوري، محمد بن عبد الملك الزيات، ص: 39.

---

# الفصل الثاني:

---

الدراسة الفنية للقصيدة

أولاً - القصيدة:

قصيدة: "متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل" لأبي تمام في مدح ابن الزيات

- 1 متى أنت عن ذهليّة الحيّ ذاهلٌ      وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ أَهْلٌ
- 2 تُطِلُّ الطُّلُوفُ الدَّمَعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ      وَتَمَثِّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيارَ المَواثِلُ
- 3 دَوارِسُ لَمْ يَجِفْ الرِّبيعُ رُبوعَها      وَلَا مَرَّ فِي أَغفاليها وَهُوَ غافِلُ
- 4 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيها السَّحَابُ ذيلَها      وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ فِيها الخَمائِلُ
- 5 تَعَفَّيْنِ مِنْ زادِ العُفاةِ إِذا انْتَحَى      على الحيّ صَرَفُ الأزمَةِ المُتَماحِلُ
- 6 لَهُمْ سَلَفٌ سُمِرَ العَوالِي وَسامِرُ      وَفِيهِمْ جَمالٌ لا يَغِيضُ وَجامِلُ
- 7 لِيالِي أَضَلَّتْ العِزَّاءَ وَجَوَّلتْ      بِعَقْلِكَ آراهُمُ الخُدُورِ العَقائِلُ
- 8 مِنْ الهيفِ لو أَنَّ الخَلالِ صَيَّرَتْ      لَها وَشُماً جالَتْ عَلَيها الخَلالُ
- 9 مَها الوَحْشِ إِلاَّ أَنَّ هاتا أوانِسُ      قَنا الخَطِّ إِلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوابِلُ
- 10 هَوًى كانَ خِلْساءً إِنَّ مِنْ أَحسَنِ الهَوى      هَوًى جُلَّتْ فِي أَفْئائِهِ وَهُوَ خامِلُ
- 11 أبا جَعْفَرَ إِنَّ الجَهالةَ أُمُّها      وَلَوُدُّ وَأُمُّ العِلْمِ جَداءُ حائِلُ

- 12 أَرَى الْحَشَوَ وَالْذَهْمَاءَ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ شُعُوبٌ تَلَاَقَتْ دُونَنَا وَقَبَائِلُ
- 13 غَدَوْا وَكَأَنَّ الْجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ أَبٌ وَذَوُو الْآدَابِ فِيهِمْ نَوَاقِلُ
- 14 فَكُنْ هَضْبَةً نَأْوِي إِلَيْهَا وَحَرَّةً يُعَرِّدُ عَنْهَا الْأَعْوَجِيُّ الْمَنَاقِلُ
- 15 فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ ضَرْبٍ مُنَاسِبٌ مَنَاسِبَ رُوحَانِيَّةٍ مِنْ يُشَاكِلُ
- 16 وَلَمْ تَنْظُمِ الْعِقْدَ الْكَعَابُ لَزِينَةٍ كَمَا تَنْظُمُ الشَّمْعُ الشَّتِيتَ الشَّمَائِلُ
- 17 وَأَنْتَ شِهَابٌ فِي الْمُلَمَّاتِ ثَاقِبٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا هَزَّكَ الْحَقُّ قَاصِلُ
- 18 مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَنْضُ الْأَكْفُ كَنْصَلِهِ وَلَا حَمَلَتْ مِثْلًا إِلَيْهِ الْحَمَائِلُ
- 19 مُؤَرِّثُ نَارٍ وَالْإِمَامُ يَشُبُّهَا وَقَائِلُ فَصْلِ وَالْخَلِيفَةُ فَاعِلُ
- 20 وَإِنَّكَ إِنْ صَدَّ الزَّمَانُ بِوَجْهِهِ لَطَلَقَ وَمِنْ دُونِ الْخَلِيفَةِ بَاسِلُ
- 21 لَئِنْ نَقِمُوا حَوْشِيَّةً فَيْكَ دُونَهَا لَقَدْ عَلِمُوا عَنْ أَيِّ عِلْقٍ تُنَاضِلُ
- 22 هِيَ الشَّيْءُ مَوْلَى الْمَرَةِ قِرْنٌ مُبَايِنٌ لَهُ وَإِبْنُهُ فِيهَا عَدُوٌّ مُقَاتِلُ
- 23 إِذَا فَضَلْتَ عَنْ رَأْيِ غَيْرِكَ أَصْبَحْتَ وَرَأْيُكَ عَنْ جِهَاتِهَا السِّتِ فَاضِلُ
- 24 وَخَطَبِ جَلِيلٍ دُونَهَا قَدْ شَغَلَتْهُ وَفِي دُونِهِ شُغْلٌ لِعَيْرِكَ شَاغِلُ

- 25 رَدَدَتِ السَّنا فِي شَمْسِهِ بَعْدَ كُلْفَةٍ كَأَنَّ إِنْتِصَافَ الْيَوْمِ فِيهَا أَصَائِلُ
- 26 تَرَى كُلَّ نَقْصٍ تَارِكِ الْعِرْضِ وَالتَّقَى كَمَالاً إِذَا الْمُلْكُ إِعْتَدَى وَهُوَ كَامِلُ
- 27 جَمَعَتْ غُرَى أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيَاءُ عَامِلُ
- 28 فَأَضَحَتْ وَقَدْ ضُمَّتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَزَلْ تُضَمُّ إِلَى الْجَيْشِ الْكَثِيفِ الْقَنَابِلُ
- 29 وَمَا بَرِحَتْ صُوراً إِلَيْكَ نَوَازِعاً أَعْنَتْهَا مُذْ رَاسَلَتْكَ الرِّسَائِلُ
- 30 لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلُ
- 31 لَهُ الْخَلَوَاتُ الْإِلَاءِ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا لَمَّا احْتَفَلْتَ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
- 32 لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَارْيُ الْجَنَى إِشْتَارَتُهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
- 33 لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
- 34 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلُ
- 35 إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَعَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
- 36 أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ
- 37 إِذَا اسْتَعَزَّ الذِّهْنَ الذِّكْيَ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ

- 38 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنْصَرَانِ وَشَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
- 39 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْيٌ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ
- 40 أَرَى ابْنَ أَبِي مَرَوَانَ أَمَّا عَطَاؤُهُ فَطَامٍ وَأَمَّا حُكْمُهُ فَهُوَ عَادِلُ
- 41 هُوَ الْمَرْءُ لَا الشُّورَى اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِهِ وَلَا قَبِضَتْ مِنْ رَاحَتِيهِ الْعَوَازِلُ
- 42 مُعَرَّسٌ حَقِّ مَالِهِ وَلَرَبَّمَا تَحَيَّفَ مِنْهُ الْخَطْبُ وَالْخَطْبُ بَاطِلُ
- 43 نَقَاحٌ فَلَمْ تَخْدِجْهُ بِالضَّيْمِ مِئَّةٌ وَلَا نَالَ أَنْفًا مِنْهُ بِالذَّلِّ نَائِلُ
- 44 تَرَى حَبْلَهُ غَرِثَانِ مِنْ كُلِّ غَدَرَةٍ إِذَا نُصِبَتْ تَحْتَ الْحِبَالِ الْحَبَائِلُ
- 45 فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيضَةَ مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْغُيُوبَ الْمَقَاتِلُ
- 46 وَلَا غُمُرٌ قَدْ رَقَّصَ الْخَفْضُ قَلْبَهُ وَلَا طَارِفٌ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ جَاهِلُ
- 47 أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ يَكُنْ لِيُورِدُنَا بَحْرًا فَإِنَّكَ سَاجِلُ
- 48 وَمَا رَاغِبٌ أَسْرَى إِلَيْكَ بِرَاغِبٍ وَلَا سَائِلٌ أَمَّ الْخَلِيفَةَ سَائِلُ
- 49 تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ إِنْ لَمْ تُغْرِ لَهَا قُوًى وَيَصِلُهَا مِنْ يَمِينِكَ وَاصِلُ
- 50 سِوَى مَطْلَبٍ يُنْضِي الرِّجَاءَ بِطَوْلِهِ وَتُخْلِقُ إِخْلَاقَ الْجُفُونِ الْوَسَائِلُ

- 51 وَقَدْ تَأَلَّفُ الْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قِيدُهَا وَيُرْجَى شِفَاءُ السَّمِّ وَالسَّمُّ قَاتِلُ
- 52 وَلِي هِمَّةٌ تَمْضِي الْعُصُورُ وَإِنَّهَا كَعَهْدِكَ مِنْ أَيَّامٍ وَعَدِكَ حَامِلُ
- 53 سِنُونٍ قَطَعْنَاهُنَّ حَتَّى كَأَنَّمَا قَطَعْنَا لِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا مَرَا حِلُ
- 54 وَإِنَّ جَزِيلَاتِ الصَّنَائِعِ لِأَمْرِي إِذَا مَا اللَّيَالِي نَاكَرَتْهُ مَعَا قِلُ
- 55 وَإِنَّ الْمَعَالِي يَسْتَرِمُ بِنَاؤُهَا وَشَيْكاً كَمَا قَدْ تَسْتَرِمُ الْمَنَازِلُ
- 56 وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذْرُتُ لِقَاحِهَا وَلَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ وَالضَّرْعُ حَافِلُ
- 57 مَنَحْتُكَهَا تَشْفِي الْجَوَى وَهُوَ لَاعِجٌ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ الْفَتَى وَهُوَ ذَاهِلُ
- 58 تَرُدُّ قَوَافِيهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ هَوَامِلُ مَجْدِ الْقَوْمِ وَهِيَ هَوَامِلُ
- 59 فَكَيْفَ إِذَا حَلَّيْتُهَا بِحُلِيِّهَا تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ
- 60 أَكَابِرْنَا عَطْفاً عَلَيْنَا فَإِنَّا بِنَاظِمًا مُرِدٍ وَأَنْتُمْ مَنَا هِلُ

## ثانيا -مضمون القصيدة

تعد من أروع قصائد أبي تمام في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، أحد وزراء الدولة العباسية في عهد الخليفة المتوكل، والقصيدة من المدائح السياسية التي اتسم بها شعر أبي تمام في بلاط الخلفاء والوزراء. حيث مزج أبو تمام بين الغزل والوقوف عن الاطلال وصولاً الى الغرض الأساسي عبر تمهيد وجداني وسرعان ما انتقل من هذا البوح العاطفي إلى غرضه، وهو مدح الوزير العباسي محمد بن الزيات حيث يرفع من شأنه في صورة شعرية ليذكر خصاله وصفاته، وعلمه وشجاعته والبسالة وسداد الرأي، وكمال الأصل والدفاع عن الحمى وحسن السياسة والقيادة لأمر الملك والخلافة. ثم ينتقل لمدحه كونه الكاتب الشاعر، من جوانب عدة فهو صاحب قلم لا يكتب إلا الصواب، حسن الخط، ذا شهرة كبيرة تمس الشرق والغرب، فهو بلسم في السلم سم قاتل في البأس، كما أنه حاكم عادل كريم الفعال، سخي اليد، ليعود في الأخير إلى قيمة شعره الذي مدحه به ابن الزيات، فيراها منحة وتكرمة عن طيب خاطر، ليختتم الشاعر قصيدته بالعظمة والتفخيم، ثم وصفه بالأكابر تعبيراً عن المقام الرفيع وإظهاراً لحاجة الشاعر لعطائه، حيث سعى إلى كسب ماله والحصول على مكانة مرموقة في البلاط وخاصة أن ابن الزيات عمل على تشجيع الأدباء والشعراء، وذلك لما يحمله من أدب وشعر.

## ثالثاً -بناء القصيد وهيكلها:

### 1. بناء القصيدة وهيكلها:

جعل الشاعر أبو تمام قصيدته في مدح محمد بن الزيات، الوزير الأديب الشاعر، في ستين بيتاً، عبر فيها عن إعجابه بالخليفة الشاعر، ووصفه بصفات جميلة تخلد الموصوف بها. وهذه القصيدة تتبع بنية فنية متقنة تعكس تطور الشعر العربي في العصر العباسي، ورغم أن القصيدة ليست من العصر الجاهلي، فإن بنيتها لم تبتعد عن الأسس التقليدية التي نشأت وترسخت في العصر الجاهلي. ومن أهم عناصرها: مطلع القصيدة، والمقدمة الطللية والتغزل بالمرأة، وحسن التخلص، والغرض الرئيسي وهو هنا المدح، ثم الخاتمة.

### 1- أقسام القصيدة:

#### 1- مطلع القصيدة: البيت الأول. (1)



2- الوقوف على الأطلال: من البيت الثاني إلى البيت السادس. (2-6)

3- وصف المرأة: من البيت السابع، إلى البيت العاشر. (7-10)

4- مدح وذكر مناقب محمد ابن الزيات: من البيت 11 إلى البيت 46. (11-46)

5- الشاعر يصرح بطلبه من الخليفة ويرجو العطاء: من البيت 47 إلى البيت 60. (47-60)

## 2- مطلع القصيدة:

مطلع القصيدة غالبا ما به تعرف القصيدة عبر الأزمان، وهو أول ما يستهل به الشاعر قوله، وأول ما يقرع أذن المتلقي، لذا وجب تحسينه وتجميله، لأنّ "الشعر قُلٌّ أوّلُه مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره"<sup>1</sup>. فالشعر في نظر ابن رشيق مغلق لا يفتح بابه إلا بمطلعه، فهو بمثابة المفتاح الذي يسهّل للشاعر بناء القصيدة وقول الشعر، حتى إذا نجح في تجويد مطلع القصيدة هانت القصيدة بعد ذلك وأرخت العنان له.

يستهل الشاعر قصيدته ببيت شعري جميل يقول فيه:

متى أنت عن ذُهليّة الحيّ ذاهلٍ وقلْبك منها مُدّة الدّهر آهلٌ

وهو بيت غزلي يخاطب به ابن متلقٍ ما على عادة شعراء العرب القدامى، متسائلا كيف يمكنك أن تنسى محبوبتك التي هي من أحد أحياء قبيلة ذُهلٍ، وتبقى تائها مغرما بها، لأنها تسكن قلبك الذي تعلق بها، وأقام عندها، ولا يبرحها، والشاعر بهذا المطلع يعبر عن وفاء المخاطب وثباته على قيم المحبة.

كما يمكن أن يكون الضمير (أنت) موجها للشاعر نفسه، أبي تمام، ويسأله متعجبا من حالته المتعلقة بالذهلية، وهو لا يمكن أن ينساها لأن قلبه قد تعلق بها وثبت على عهده معها، فلا تغيير ولا تبديل، والمطلع الغزلي حينما تذكر فيه المرأة خطاب للممدوح بصفة الحب والتعلق

<sup>1</sup> - ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط1، تح: محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص389.

والهيام بالمحبوبة، وبذلك يؤثر على مشاعر المتلقي، وخاصة إن كان ممدوحا، فترق مشاعره ويتأثر عاطفيا، فيستعد لسماع الكلام الرقيق بكل تأثر ورهافة حس، ومن ثم يجزل العطاء للشاعر، أو يقضي للشاعر حاجته إن لم الهدف التكسب.

### 3- المقدمة الطللية (الوقوف على الأطلال):

تعدُّ مقدمة القصيدة ظاهرة كبرى في شعرنا العربي القديم، ومن اللافت للنظر "أنها لم تكن واحدة حتى في العصر الجاهلي، فالى جانب المقدمات الغزلية والطللية ثمة مقدمات في الشيب والطيّف وغيرها"<sup>1</sup>. ومن أكثرها انتشارا في الشعر الجاهلي الوقوف على الأطلال، ذلك أنهم كانوا أهل حَلٍّ وترحال، "لانتقالهم عن ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان"<sup>2</sup>؛ يقيمون في مكان معشب توفرت فيه أسباب الحياة ردحا من الزمن، فإذا أجذبت الأرض وانعدم الماء وأكل المواشي صار من الضروري البحث عن مكان آخر فيه المرعى والماء، فينتقلون إليه تاركين وراءهم مواطن إقامتهم بما تحمل من ذكريات، فإذا عادوا إليها أو مروا بها وقفوا عندها مستذكرين بألم تلك الديار والأطلال.

بعد أن استهل الشاعر قصيدته بمطلعٍ ذَكَر فيه زهول المتلقي بذهلية الحيّ التي أحبها وتعلق بها، حتى صار لا يقدر على نسيانها أو الصبر عن غياب طيفها، فقلبه قد تعلق بها إلى حد الزهول والهيام، على مرّ الأيام والسنوات. يعرّج الشاعر بعد المطلع على الطلول ويلتفت إليها، واصفا إياها بعين دامعة كلما رأتها، فيقول:

2 تُطِلُّ الطُّلُوءَ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمَثِّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارَ الْمَوَاطِلُ

1- بكار، يوسف حسين: بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982. ص212.

2- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي الدينوري: الشعر والشعراء، د ط، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006م، ج1، ص76.

فرؤية الطلل تجلب الدمع، وتثير لواعج القلب وحرقة النفس، وإن بدا على الطلول أنها صابرة على فراق الأحبة الذين سكونها ثم غادروها.

رغم أن هذه الديار قد تحولت إلى خراب ودمار من عدم الصيانة وفعل الطبيعة، ولكنها مازالت مليئة بصنوف النباتات، ذلك أن الربيع لم يجفها كما جفاها أهلها الظاعنين عنها:

3 دَوَارِسُ لَمْ يَجِفْ الرِّبْعُ رُبُوعَهَا وَلَا مَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ

إنها ديار خربة ولكنها بفعل ما مرّ بها من سحائب حبلى بالأمطار، امتلأت بأنواع الزهور، التي ظهرت على العشب والأشجار الكثيفة،

4 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَائِبُ ذَيْلَهَا وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ فِيهَا الْخُمَائِلُ

فتبقى هذه الديار رغم غربتها عن أهلها تجود بكرمها، وتمنح المحتاجين الذين يقصدونها للمساعدة في أوقات الشدة والمجاعة طعامها بكرم وسخاء، ذلك أن هذه الديار الدوارس كان يسكنها أهل اتصفوا بالشدة والقوة والشجاعة حين يشتد البأس، وهم أيضا أهل العطف واللين واللفظ أوقات السلم والرجاء، وجمالهم دائم لا ينقص ولا يندثر، مما جعلهم محبوبين لدى الناس.

#### 4- وصف المرأة:

إذا انتهى الشاعر من وصف الأطلال وما فيها من ألوان الخراب والحياة وصفاتها الجميلة "وصل ذلك بالنسيب... ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي إصغاء الأسماع إليه"<sup>1</sup>، لذا وصف الشاعر المرأة، مخاطبا متلقيا معينا

7 لِيَايِي أَضَلَّتِ الْعِزَاءُ وَجَوَّاتٍ بِعَقْلِكَ آرَامُ الْخُدُورِ الْعَقَائِلُ

<sup>1</sup> - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص76.

## 8 مِّنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشُمًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ

فبفعل طول الزمن وتعاقب الأيام والليالي فقد المتلقي صبره وتاه يفكر فيما ورد إلى ذهنه ومخيلته من طيف ظباء الخدور، وهن النساء الجميلات المصونات المستترات في خدورهن، فمن صفاتهن أن الواحدة منهن هيفاء دقيقة الخصر، مشوقة القوام، ممتلئة الساق، لو صار الخلخال وشما في ساقها فسيتلوى كالثعبان على ساقها من شدة نعومته. هن شبوهات ببقر الوحش في جمال عيونها ومستقيمات القدم مشوقته كسهم مرفاً الخط لينات كواعب:

## 9 مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطِّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

### 5- مدح ابن الزيات وذكر صفاته وخصاله:

بعد أن حاول الشاعر ترقيق مشاعر الممدوح بذكر الطلول وألوان الأزهار والخمائل، ووصف النساء الجميلات بالرقرة والستر والهيف والعيون، "لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وألف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق".<sup>1</sup> ولن تنال هذه الحقوق والمطالب إلا بسلوك طريق واحد ألفه الشعراء منذ الجاهلية، وهو تحسس نفسية الممدوح، "فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء... بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل".<sup>2</sup> وهذا ما فعله أبو تمام، إذ التفت إلى ابن الزيات ليذكر خصاله وصفاته، وذلك أن المدح كان غرض الشاعر الأساس، فوصف ابن الزيات بالعلم في وسط شاع فيه الجهل وصارت الدهماء من الناس عقبة في وجه العلماء والمتعلمين:

## 11 أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمُّهَا وَلَوْ أَنَّ الْعِلْمَ جَدَاءٌ حَائِلُ

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص. ن.

<sup>2</sup> - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص76.

12 أَرَى الْحَشَوَ وَالْذَهْمَاءَ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ شُعُوبٌ تَلَاقَتْ دُونَنَا وَقَبَائِلُ

دعاه إلى التعالي عنهم وأن يكون ملاذا لمن قصده من الطالبين لعلمه ونجدته.

14 فَكُنْ هَضْبَةً نَأْوِي إِلَيْهَا وَحَرَّةً يُعَرِّدُ عَنْهَا الْأَعْوَجِيُّ الْمَنَاقِلُ

15 فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ ضَرْبٍ مُنَاسِبٌ مُنَاسِبَ رُوحَانِيَّةٍ مِنْ يُشَاكِلُ

ثم وصفه بالشهاب الثاقب في الملمات والسيف القاطع في مواطن الحق، ووصفه بالشجاعة والبسالة وسداد الرأي، وكمال الأصل والدفاع عن الحمى والعرض وحسن السياسة والقيادة لأمر الملك والخلافة.

17 وَأَنْتَ شِهَابٌ فِي الْمُلِمَّاتِ ثَاقِبٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا هَزَّكَ الْحَقُّ قَاصِلُ

20 وَإِنَّكَ إِنْ صَدَّ الزَّمَانُ بِوَجْهِهِ لَطَلَقَ وَمِنْ دُونِ الْخَلِيفَةِ بَاسِلُ

ثم ينتقل إلى الحديث عن الممدوح الكاتب الشاعر، فابن الزيات صاحب قلم مؤثر لا يكتب إلا صواباً، ذاع صيته شرق الغرب ومغاربها، يكون بلسمًا في حال السلم وسُمًا قاتلاً حين البأس وصد العدوان،

30 لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلُ

34 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلُ

كما يصف حسن خطه، وكيف تتقن به أصابع ابن الزيات، في حكمة وتبصر. ثم يتحدث عن كرم الممدوح في مواطن الحاجة واللين، وهو لا يتبع ما تكرر به باليمن والأذى، ولا يشعر من أعطاه بالذل والهوان، كما أنه حاكم عادل حصيف الرأي:

40 أَرَى ابْنَ أَبِي مَرْوَانَ أَمَّا عَطَاؤُهُ فَطَامٍ وَأَمَّا حُكْمُهُ فَهُوَ عَادِلٌ

لا توقعه الشورى عن رأيه، فهما دوما متوافقان (الرأي والشورى)، وهذا لتبصره وسداد رأي فهو لا يقبل على الأمور إلا تبصر وحكمة، ولمصلحة الصواب، وعموما فهو يسعى للمعالي ويجد في طلبها دون غرور ولا خور.

#### 6- طلب الحاجة:

بدأ من البيت السابع والأربعين، يتحول الشاعر إلى الإطراء على الخليفة ابن الزيات من أجل طلب المساعدة والكرم، فيقول له مخاطبا مباشرة بكنيته المحببة لديه، فينسبه إلى ابنه جعفر:

47 أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ يَكُنْ لِيُؤَادِنَا بَحْرًا فَإِنَّكَ سَاحِلٌ

48 وَمَا رَاغِبٌ أُسْرَى إِلَيْكَ بِرَاغِبٍ وَلَا سَائِلٌ أَمَّ الْخَلِيفَةَ سَائِلٌ

ويقول له إذا كان الخليفة للناس العطشى إلى كرمه بحرا فأنت بمثابة الساحل الممتد، فينال عطاءك دون خوف من الغرق، ويعرف عنك أن كل من قصدك نال بغيته دون الشعور بمذلة السؤال، فيمينك دائما مبسوطة للمحتاجين، ولو قبضتها لتقطعت الأسباب، ويمهد الشاعر لطلبه قائلا:

52 وَلِي هِمَّةٌ تَمْضِي الْعُصُورُ وَإِنَّهَا كَعَهْدِكَ مِنْ أَيَّامٍ وَعَدِكَ حَامِلٌ

53 سِنُونُ قَطَعْنَاهُنَّ حَتَّى كَأَنَّمَا قَطَعْنَا لِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا مَرَاجِلُ

غير أن هناك طلبا مر عليه العهد وأنا أنتظره منك، وربما غفلت عنه، كما تغفل الجفون وتتعود، بيد أنني صاحب همة لا تقف دونها العصور والأيام، ولا أنساها، ولا أشعر فيها بالملل

والكسل، وأنت تعلمها وتذكر ما كان بيننا من علاقة ود وصحبة، وقد وعدتني بها، ومرت السنون ولم تحققها لي، وأنا أعرفك صاحب معالٍ، لا ترضى إلا بإتمامها.

ولكن لا بأس إن المعالي وإن شابها عطب وخلل، فإنها كالمنازل العالية تصلح وتترمم، أن أيها الخليفة لم أئل ما أستحقه من كرم، ولا أعرف سبب هذا المنع أو التأخر، فالناقة التي تكون على وشك الولادة لا تدر لبنا فلا تلام، ولكنها تلام حينما يكون ضرعها ممتلئاً ولا تعطي الحليب، وهذا ما يحزنني، فالخير وافر مائل بين يديك، بيد أنني لم أئل منه ما أطمح إليه وما وعدتني به!

وفي الأبيات الأخيرة بدأ من البيت السابع والخمسين، يعود الشاعر إلى قيمة شعره الذي مدح به ابن الزيات، فيصف قصيدته هذه، وقد يقصد بها كل أشعاره في مدح ابن الزيات، فيراها منحة وتكرمة عن طيب خاطر، يقول:

58 تَرُدُّ قَوَافِيهَا إِذَا هِيَ أَرْسَلَتْ هَوَامِلَ مَجْدِ الْقَوْمِ وَهِيَ هَوَامِلُ

59 فَكَيْفَ إِذَا حَلَيْتَهَا بِحُلِيِّهَا تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ

ومن صفاتها أنها تشفي المريض بداء الغرام، مهما كان يعاني من لوعة الحب وهو ملتهب، وفي نفس الوقت تحرك أحزان الفتى وتبعثه من غفلته وذهوله. قصائدي فيك إذا أطلقت أبياتها، اندفعت قوافيها اندفاعاً حراً، كأنها خيول سائبة، تحمل مجد القوم معها في اندفاعها، وهي مع ذلك منطلقة لا يوقفها شيء رغم قوافيها المنتهية بنهاية كل بيت. هذا حال قصيدة من الجمال والتأثير رغم أنني لم أسع إلى التقنن فيها، فإن زدتها اهتماماً وتزويقاً وتنميقاً، فما حالها بعد إذ؟! فهي كالمرأة العطل، التي تبدو جميلاً جمالاً طبعياً دون تكلف ولا صنعة، فما بالك لو تزينت، والشاعر هنا يفتخر بشعره الذي يقوله مرسلًا دون تزويق، فكيف إذا سعى إلى تزويقه وتنميجه، فحتمًا سيزداد جمالاً، وفي هذا إظهار للشاعر على مقدرته الشعرية دون تنميق.

7- حُسْنُ التَّخْلِصِ:

حسن التخلص أو الخروج، "عند النقاد يدل على حذق الشاعر، وقوة تصرفه وقدرته"<sup>1</sup>، وهو شرط في بناء القصائد القديمة، والمقصود به انتقال الشاعر من غرض إلى آخر دون أن يلمس المتلقي هذا الانتقال، فلا يكون انتهاء غرض ببيت في نهاية البيت، ثم ينتقل الشاعر إلى الغرض الآخر في البيت الموالي، بل يتم الانتقال بسلاسة ولطف حتى يجد المتلقي نفسه وهو يسمع أو يقرأ في غرض آخر<sup>2</sup>، ومن علاماته في القصيدة، انتقال الشاعر من وصف الأطلال إلى الغزل، فبعد أن كان الشاعر يتحدث عن صفات الأطلال وجميل أهلها الطاعنين ووصفهم بالكرم والجمال الدائم، تحدث عن الليالي وما تتطلبه من الصبر، وإذا به يذكر الطيف الذي دار بعقله عن ظباء الخدور المستترات، وتبين بعد ذلك أنه دخل غرض الغزل من بوابة الظباء، وما حال دون إرادة المعنى الحقيقي للظباء، وجود كلمة الخدور، والخدور لا تكون إلا للنساء.

#### 8- الانتهاء أو الخاتمة:

الانتهاء هو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكما: لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، و"إذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه"<sup>3</sup>.

ويراد بالانتهاء حسن الخاتمة أو حسن المقطع، والشعراء والنقاد يعنون بالخاتمة عناية كبيرة لا تقل عن العناية بالمطلع، لأن الخاتمة هي آخر ما يبقى في الأسماع، وبالتالي وجب الاهتمام بها لفظا بديعا ومعنى شريفا، حتى تترك الأثر الطيب في نفس وأذن المتلقي.

وتتمثل الخاتمة هنا في قول الشاعر:

60 أَكَابَرْنَا عَظْفًا عَلَيْنَا فَإِنَّنَا  
بِنَا ظَمًا مُرِدٍ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ

<sup>1</sup>- بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، 222.

<sup>2</sup>- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>- ابن رشيق القيرواني: العمد، ج1، ص415.



الشاعر هنا نادى بمدوحه بصيغة الجمع للتعظيم والتفخيم، ثم وصفه بالأكابر، تعبيرا عن المقام الرفيع من القوم، الذين يعتد بأمرهم ويؤخذ برأيهم، ويحتذى بأفعالهم. ويطلب منه العطف والرأفة، ذلك أنه ظمأ قاتل، وانتم الينابيع، فحتما لن نموت عطشا والينابيع أمانا.

وهي خاتمة مؤثرة، جعلت الممدوح من الأكابر، ووجهاء القوم، أما محتاجين لا حول لهم ولا قوة، والأكابر لا يرد عندهم الضعفاء والمحتاجون، ولا يموت الظمأى بين أيدهم، لأنهم بمثابة الينابيع التي لا تنضب.

وهكذا هي بنية القصيدة، بالمطلع الجميل المتخير، لأن نجاح المطلع نجاح للقصيدة، وهو أول ما يقرع السمع، ثم الوقوف على الأطلال، ثم الغزل، ثم اللجوء للغرض الأساس، وهو هنا المدح، ومن أجله بنيت القصيدة، وأخيرا الانتهاء أو الخاتمة، مع مراعاة الاهتمام بحسن التخلص عند الانتقال من غرض إلى آخر، وخاصة عند الانتقال إلى الغرض الأساس.

#### رابعا- الدراسة الفنية للقصيدة:

تعد الدراسة الفنية من أبرز الجوانب النقدية التي تهدف إلى الكشف عن جماليات النص الشعري من حيث اللغة والأسلوب والصورة الفنية والموسيقى وغيرها، فالشاعر لا يعبر عن تجربته الشعورية فحسب بل يصوغها في قوالب فنية رائعة تسهم في إبراز المضمون وتمنح القصيدة طابعها الخاص وتميزها عن غيرها من النصوص، إذ تسعى إلى الكشف عن مهارة الشاعر في توظيف هذه العناصر لخدمة المعنى، وإبراز الأثر الجمالي والوجداني الذي تحدثه القصيدة في المتلقي. وهنا سنتطرق في دراسة هذه القصيدة التي بين أيدينا "متى أنت عن ذهليه الحي ذاهل" التي نظمها أبي تمام في مدح وزير الدولة ابن الزيات إلى بعض هذه الجوانب.

##### 1- خصائص اللغة الشعرية عند أبي تمام:

اللغة هي وسيلة التواصل الأساسية بين البشر، تستخدم لنقل الأفكار والمشاعر والمعلومات. وهي ليست مجرد أصوات وكلمات بل نظام معقد من الرموز يعبر بها عن ثقافة وهوية الشعوب.

يعرفها ابن جني في كتابه الخصائص بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>1</sup>، فمن خلال اللغة تبقى العلاقات وتسجل المعارف وتحفظ الموروثات، وهي الوسيلة التي تجمع الأفراد ببعضهم البعض، كما أن اللغة تختلف من شخص إلى آخر بحسب استعمالاتها فهناك اللغة العادية وهي اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية من أجل تبادل المعلومات والأفكار بشكل مباشر وواضح. تمتاز بالوضوح والدقة والوظيفة، هدفها الأساسي إيصال المعنى بأقل جهد وبدون تزيين وإيقاع. وهناك اللغة الشعرية التي تنحو نحو الجمال والإيحاء، وتبتعد عن المباشرة تتزين بالصور البلاغية وتستخدم الإيقاع والموسيقى اللفظية لتثير المشاعر وتعمق المعاني.

ويعرفها عباس محمود العقاد اللغة الشعرية بأنها: " لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والاصوات".<sup>2</sup> إذ يتضح من هذا القول أن هناك فرقا بين اللغة العادية واللغة الشعرية، فاللغة الشعرية تتميز برقتها وجزالة ألفاظها وهي خاصة بتشكيل النصوص الأدبية.

بعد أن أشرنا إلى مفهوم اللغة لابد من الوقوف عند اللغة الشعرية عند أبي تمام في مدح الزيات والتي اتسمت بعدة خصائص ومميزات، فقد عبر أبي تمام عما اختلج نفسه وما حمله ممدوحه (ابن الزيات) من صفات وأخلاق ومميزات جعلته يتفنن في اختيار الألفاظ التي تقرب وتوصل المعنى بداخل الشاعر.

ومن أهم الخصائص التي تميزت بها اللغة نذكر:

#### أ-جزالة الألفاظ ورقة المعاني:

تعد الألفاظ وسيلة التعبير الأولى التي يصوغ بها الانسان أفكاره ويجسد بها مشاعره، ثم إن الألفاظ حسب ما ذكره ابن الاثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تنقسم إلى قسمين: " أن الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة و رقيقة"<sup>3</sup>، وتفاوت الالفاظ بين الجزالة والرقعة هو انعكاس لتنوع الأغراض والأساليب في اللغة، إذ تتطلب بعض المقامات ألفاظا قوية ذات طابع جزل يتلاءم مع الهيبة والقوة بينما يناسب غيرها ألفاظا رقيقة عذبة تتسجم مع اللين والعاطفة، ومن خلال هذا القول يتضح لنا التفريق بين ما هو جزل وما هو رقيق، أما الجزل في اللغة هو

<sup>1</sup> - ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، الجزء الأول، مطبعة الهلال بالقجالة، مصر، 1332هـ، ص: 31.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد، اللغة الشعرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د-ط، 2014، ص: 11.

<sup>3</sup> - ابن الاثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الجزء الأول، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د-ط، د.ت. ص: 168.

القوة والشدة وهذا ما ذكره ابن منظور في لسان العرب: "اجمعوا لي حطبا جزلا أي غليظا قويا، ورجل جزل وامرأة جزلة بينة الجزالة: جيدة الرأي، وما أبين الجزالة فيه أي جودة الرأي... يجوز أن تكون ذات كلام جزل أي قوي شديد واللفظ الجزل: خلاف الركيك."<sup>1</sup> يتضح لنا أن معنى الجزالة هو قوة اللفظ وشدته وقد اعتمد الشاعر في القصيدة على الكثير من الألفاظ الجزلة من ذلك قوله:

3 دَوَارِسُ لَمْ يَجِفْ الرِّبْعُ رُبُوعَهَا وَلَا مَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهَوَّ غَافِلٌ

في هذا البيت تظهر جزالة الألفاظ من خلال استعمال لمفردات قوية وتظهر لنا من خلال قوله: "دوارس" وهي من الألفاظ القديمة الفصيحة استخدمها هنا يمنح البيت قوة تصويرية، إذ يصف الديار كأنها عريقة في القدم. "لم يجف" كلمة جزلة بسيطة ذات وقع قوي توحى بتغير الزمن والجفاء لكنها جاءت في النفي، مما يعكس أن الحياة لاتزال تمر بها.

"الربيع" تحمل دلالات الجمال واستخدمها يعزز بين اندثار الديار واستمرار أثر الحياة فيها. "ربوعها" تشير الى مواطن تلك الديار، الأماكن التي كانت عامرة بأهلها. كما نجده يستعمل ألفاظا تمتاز بالجزالة والفخامة ويتبين هذا من خلال قوله:

4 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَابُ دَيْلَهَا وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ فِيهَا الْخُمَائِلُ

البيت مثال جميل على الجزالة حيث جاءت ألفاظه مختارة لتعطي فخامة المعنى إذ استعمل كلمات مثل "سحبت" "السحاب" "قد اخملت" "الخُمائل" ومعناه إن سحاب المطر انهمرت قى أما عن الألفاظ الرقيقة والتي عبر عنها ابن الأثير في قوله: "أما الرقيق منها فيستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف."<sup>2</sup> إذن فالألفاظ الرقيقة تستعمل في التعبير عن مشاعر الحب والحزن والاشتياق وكل ما يلمس العاطفة، وقد وظف أبو تمام ألفاظا رقيقة عبرت عن مشاعر الحب والاشتياق والحزن التي بداخله لان الرقة تساعد على إيصالها بطريقة مؤثرة وناعمة تمس القلوب ويظهر ذلك من خلال:

<sup>1</sup> - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، ص: 109 .

<sup>2</sup> - ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص: 168.

## 1 متى أنت عن ذُهلِيَّةِ الحَيِّ ذاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةُ الدَّهْرِ أَهْلٌ

فقد عبر الشاعر هنا عن ماذا تعلق المخاطب بحبه لذهلية وعدم قدرته على نسيانها رغم هذه المدة الطويلة من الدهر، وقد جاءت المفردات في هذا البيت رقيقة عاطفية خفيفة النطق وموحية بالحب والحنين كما أن الألفاظ تحمل دفئا وجدانيا من خلال العلاقة بين "الحب" و "الدهر". وتظهر لنا رقة الكلمات أيضا في الشطر الثاني من البيت وذلك في كلمة "قلبك" التي تشير إلى العاطفة والمشاعر، وهو ما يثير الرقة فورا، وفي الضمير "منها" الذي يعود على الحبيبة وهي كلمة قصيرة ناعمة، تقوي الرابط الحميمي العاطفي، وقد ربط الشاعر هذا بعبارة "مدة الدهر" كتعبير جميل يدل على الاستمرارية والوفاء، وفيه امتداد زمني يعطي طابعا وجدانيا عميقا، وأخيرا كلمة "أهل" التي تدل على القرب فقد جعل القلب "أهلا" للحبيبة فهو يقول متى تكف عن ذكر تلك المرأة الذهلية، ما دام قلبك لا يزال أهلا مفعما بحبها.

ونجد أيضا الألفاظ الرقيقة في البيت الموالي عبر بها الشاعر عن مدى حسرته وحزنه وحنينه إلى تلك الأيام ويتضح ذلك من خلال قوله:

## 2 تَطُلُّ الطُّلُوفُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمَثِّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارُ المَوَاتِلِ

يحمل هذا البيت مشهدا حزينا في قلب الشاعر فأثار الديار البالية تثير الدمع، التي تطل وتسقط من العين في كل مرة يمر بها على تلك الأماكن، حيث يقول إن الوقوف على الطلل يستدرف الدمع ويهدره كما أن مشاهدة ما شخص وتبقى من آثار الديار يقتل الصبر ويمثل به أشد تمثيل. كما نجد في جل القصيدة ألفاظا تمتاز بالرقة وهذا من خلال قوله:

## 47 أبا جَعْفَرٍ إِنَّ الخَلِيفَةَ إِنْ يَكُنْ لَوُرَادِنَا بَحْرًا فَإِنَّكَ سَاحِلٌ

يتجلى في هذا البيت رقة الألفاظ حيث يستحضر الشاعر صورة تمزج بين العظمة والعطاء إذ جعل الخليفة بحرا من العطاء الواسع فطلبه ليس هو طمع بل هو خير وفضل. ويظهر لطف العبارة في انسجام الألفاظ وسلاستها فالكلمات تظهر رقة تعبيره في مدح ابن الزيات.

ب- الغموض والتعقيد:

تعد ظاهرة الغموض والتعقيد من السمات التي يلجأ إليها الشعراء وسيلة فنية للتعبير، فالغموض عند الباحث محمود درابسة: "الغموض المعني هو ما شدد إلى حوار معه، واستنقر مشاعرك وعقلك من خلال غموض عباراته وصوره وموسيقاه إذ يتجسد الغموض في شراء النص الإبداعي، وتعدد دلالاته وقراءاته".<sup>1</sup> يرى صاحب هذا التعريف أن مفهوم الغموض مقترن بتفاعل النفس مع المعنى، فالمعنى الذي تستهويه النفس وتتأثر به بفنيته وإبداعه. وأما التعقيد فقد رآه البلاغيون: "أن يأتي الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا تأتي رصف الألفاظ وفق ترتيب المعاني، وسبب ذلك اعتماد الفصل بين كلمات توجب اللغة عدم الفصل بينها، وتأخير الألفاظ عن مواطنها الأصلية لغرض غير بلاغي".<sup>2</sup> ومن بينهم أبي تمام حيث وظف هذه الوسيلة للتعبير عن مدحه لابن الزيات ويتجلى ذلك من خلال قوله:

9 مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

في هذا البيت يوظف الشاعر ألفاظا تمتاز بالغموض والتعقيد حيث جاءت العبارات غامضة ومعقدة لا تفهم من القراءات الأولى بل تحتاج الى تمعن لفهم معناه الحقيقي مثل عبارة "مها الوحش" و"قنا الخط" و"تلك ذوابل" حيث يقول: هن كبقر الوحش في تهاديهن و حسن عيونهن، وهن كقنا الخط في القد، إلا أن القنا ذوابل وهن طراء، وقيل للقنا ذوابل لأنها تلين عند الطعن فلا تتكسر.

كما يظهر التعقيد والغموض في الألفاظ من خلال قوله:

7 لَيْلِي أَضَلَّتْ الْعِزَاءَ وَجَوَّلَتْ بِعَقْلِكَ آرَامَ الْخُدُورِ الْعَقَائِلُ

فالشاعر وظف الفاظ غامضة جعلت العبارات معقدة وهذا ما يجعل المتلقي يقف امامها متأملاً ليفهم معناها فمثلاً وردت معنى جولت: طوقت ودارت، الآرام: هنا النساء، العقائل: المرأة المحصنة. اذ يشير الى ليالي مضت بالهم والحزن حتى ضاع فيها "العزاء". ذ.

رغم توظيف أبي تمام إلى ألفاظا امتازت بالجزالة والرقّة أحيانا وبين الغموض والتعقيد أحيانا أخرى في معظم أبيات القصيدة هذا لا ينكر وجود ألفاظ قديمة استمدّها من القاموس القديم

<sup>1</sup>-محمود درابسة، التلقي والإبداع، قراءات في النقد الأدبي القديم، دار الجرير، ط2، 2010، ص: 125.

<sup>2</sup>- محمد أحمد قاسم و محي الدين ديب، علوم البلاغة (البيان والبدیع والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، الطبعة الأولى، طرابلس لبنان، 2003، ص:

حيث كانت مفهومة ومتداولة بينهم مقارنة مع بيئة الشاعر وزمنه حيث كان السامعين يفهموا تلك الألفاظ ولا يحتاجون إلى شرح معانيها مقارنة مع نحن المحدثين إذ نحتاج إلى قواميس لشرحها مثل: الديار، الموائل، ذاهل، ذهلية، العفاة، الخمائل، أوانس، الكعاب، الدهر، الخدور، الجحافل، الضيم، الدجى، ..... وغيرها.

كما نجده الشاعر يستعمل ألفاظا سهلة واضحة لم يتغير معناها عبر العصور ويتضح ذلك من خلال قوله: (الدمع، موقف، الصبر، الربيع، النور، الخلاخل، وشما، شعوب، قبائل، الفتى، الملك، المنازل، .....)

ومن هنا نستخلص أن اللغة الشعرية لأبي تمام تميزت بعدة خصائص إذ لجأ أبو تمام إلى تراكيب لغوية متنوعة امتزجت بين الجزالة حيث استعمل ألفاظا قوية ذات وقع ثقيل تعكس هيبة الممدوح وعظمة المعنى و ألفاظا رقيقة المعنى تعكس المشاعر المرهفة والحنين إلى الاطلال وتحمل معاني الوفاء والارتباط العاطفي وبين ألفاظا امتازت بالغموض و التعقيد تعكس ثقافة الشاعر اللغوية وقدرته على ابتكار المعاني من خلال الألفاظ و العبارات كما اعتمد أبو تمام على المفردات التراثية والقبلية مما يعزز الطابع العربي الأصيل للقصيدة ويضفي على المديح طابعا يتصل بالفخر والانتماء ومزجه بألفاظ سهلة وبسيطة، مما تعكس مظاهر التجديد في القصيدة من خلال مزجه بين القديم والجديد.

## 2- خصائص الأسلوب عند أبي تمام:

الأسلوب هو الطريقة سواء في الكتابة أو الكلام أو غيرها من المجالات إذ تختلف من شخص إلى آخر تبعا للظروف المحيطة به، وكلمة الأسلوب في اللغة: "ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب. والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن. يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي في أفانين منه."<sup>1</sup>

أما في الجانب الأدبي فهو طريقة التفكير والتعبير التي يستخدمها الشاعر لإيصال المعنى الذي يدور في عقله. لهذا يقول اميل بديع يعقوب: "التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار صادر بيروت، (د-ط)، (د-ت)، ص: 473.

المتميّزة عن سواها لاسيما، في اختيار المفردات وصياغة العبارات والتشابه والايقاع.<sup>1</sup> ومن هذا التعريف نستخلص أن لكل شاعر أسلوبه الخاص في تخير الألفاظ والعبارات لصياغة مفردات قصيدته، إذن الأسلوب هو طريقة الكتابة أو الإنشاء: "فهو الطريقة الخاصة في استعمال اللغة حيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب."<sup>2</sup>

تعرف الأساليب الأدبية بين ما هو خبري وما هو إنشائي، وهي بدورها تتنوع بحسب أغراضها. من خلال دراستي للقصيدة تبين أن أبو تمام استعمل الأساليب الخبرية بكثرة ويتجلى ذلك في معظم أبيات قصيدته ومن هنا يمكن ان نقول:

#### أ- الأسلوب الخبري:

هو كل أسلوب يحتمل الصدق والكذب وله أغراض بلاغية بحسب ما يقتضيه السياق: "فالكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب سمي كلاما خبريا،"<sup>3</sup> ويبرر كثرة استخدام الأساليب الخبرية بكثرة لإفادة التقرير والتوكيد، وهو مناسب لإبراز الحقائق وتصف الممدوح بما يحمله من صفات وتظهر علمه وحكمته وكرمه، لا على سبيل المجاز بل بصيغة تقريرية توحى بالثقة وأنها حقائق لا تقبل الجدل. ويتجلى استخدام أبي تمام للأساليب الخبرية من خلال قوله:

4 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَائِبُ ذَيْلَهَا وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ فِيهَا الْخُمَائِلُ

ورد هذا الأسلوب الخبري للإفادة أو الإخبار بغرض المدح والتفخيم والإعجاب فهو يصفه ابن الزيات بطريقة بديعية لا تخلو من الكذب، فهو يعطي الانطباع بأن الكلام حقيقة ثابتة وليس مجرد رأي أو مجاملة و هذا يعزز المعنى ويقويه. كما نلمح أسلوب خبري آخر في قوله:

15 فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ ضَرْبٍ مُنَاسِبٌ مُنَاسِبٌ رُوحَانِيَّةٌ مِنْ يُشَاكِلُ

<sup>1</sup>- أميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص: 69.

<sup>2</sup>- يوسف أبو سعيد: الأسلوبية والتطبيق، دار المسيرة، عمان الأردن، د-ط، 2007، ص: 37.

<sup>3</sup>- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص: 13.

الشاعر يستخدم الأسلوب الخبري لتقرير حقيقة ثابتة ويقرر أن ابن الزيات يمتلك صفات تجعله يناسب كل مقام، ويؤكد أن ثمة علائق روحية تؤلف بين ذوي النسب الواحد. فالأسلوب يحمل غرضاً هو المدح المؤكد والتقرير.

17 وَأَنْتَ شِهَابٌ فِي الْمُلِمَّاتِ ثاقِبٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا هَزَكَ الْحَقُّ قَاصِلٌ

فهاتان الجملتان تتضمن أسلوباً خبرياً تفيد الإخبار والتقرير ويستخدمها الشاعر ليؤكد صفات عظيمة في الممدوح بأسلوب يوحى بالثقة واليقين. ففي عبارة "وأنت شهاب في الملمات" استخدمه لتصوير الممدوح بأنه نور يهتدي به الناس في الشدائد وذلك لرجاحة رأيه وقوته في الأزمات. أما في عبارة "وسيف إذا ما هزك الحق قاصل" يمدحه فيه بالقوة والصرامة في الحق، أي أنه حاسم وعادل لا يتهاون، فالأسلوب الخبري هنا غرضه المدح والتعظيم وتصوير الممدوح بأجمل الصفات.

فرغم كثرة الأساليب الخبرية التي طغت على القصيدة هذا لم يمنع من وجود بعض الأساليب الإنشائية التي وظفها الشاعر لإبراز أغراض أخرى.

#### ب- الأسلوب الإنشائي:

يعد الأسلوب الإنشائي من أبرز الأساليب التعبيرية في اللغة العربية ويتميز بعدم إفادته للخبر أو التقرير مباشرة، بل يستخدم للتأثير في المتلقي وتحفيز مشاعره، من خلال صيغ إنشائية مثل: الاستفهام والتعجب والنداء والتمني والأمر والنهي. ويكثر الشعراء والكتاب من توظيفها لما تمنحه من تنوع بلاغي قوة إحياء كما أن هذه الأساليب تضيف حيوية على النص ويجعله أكثر قرباً من المتلقي من حيث التأثير والإحياء، وقد عرفه يوسف أبو العدوس بقوله: "هو ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به".<sup>1</sup>

وقد وظف أبو تمام في هذه القصيدة مجموعة من الأساليب الإنشائية وقد أظهر براعة فنية في توظيفها داخل شعره حيث استعملها لتقوية التعبير عن انفعالاته الفكرية والعاطفية: الاستفهام، التعجب، النداء، التمني، ويتجلى ذلك من خلال:

#### • التعجب:

<sup>1</sup> - يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص: 63.



يعد أسلوب التعجب من أكثر الأساليب استعمالاً لدى الشعراء والأدباء وهو يعرف بأنه: "انشاء عن انفعال قائم على الإعجاب".<sup>1</sup> كما قيل أيضاً هو: "تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه في وصف من الأوصاف".<sup>2</sup>

فالتعجب إذن: "انفعال يحدث في النفس البشرية بأمر غير مألوف، والتأثير عليها. إذ نجد الشاعر قصيدته بأسلوب تعجبي، ويتجلى ذلك من خلال قوله:

**1 متى أنت عن ذهليّة الحَيّ ذاهلٌ      وقلبك منها مُدّة الدهرِ آهلٌ**

في هذا البيت من قصيدة أبي تمام نجده استعمل أسلوب التعجب بشكل غير مباشر من خلال الاستفهام الانكاري. الشاعر هو متعجباً أكثر منه سائلاً فهو متعجباً عن مدى تعلق الممدوح بحب هذه الدهلية.

وفي الشطر الثاني يؤكد التعلق الأبدي: "وقلبك منها مدة الدهر آهل" أي قلبك دائم السكنى فيها، لا يبتعد عنها، فالأسلوب تعجبي فهو في حالة دهشة رغم هذا الدهر مازال متعلقاً بها.

• **الاستفهام:**

يتضمن الأسلوب الإنشائي الاستفهام وهو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وهو الاستخبار الذي فيه أنه طلب خبر ما ليس عندك أي طلب للفهم".<sup>3</sup>

وقد وظف أبو تمام أسلوب إنشائي بصيغة الاستفهام ويتجلى ذلك من خلال قوله:

**59 فكيف إذا حلّيتها بحليّتها      تكون وهذا حسنها وهي عاطلٌ**

يعتمد أبو تمام على أسلوب الاستفهام لإبراز مدى الجمال والكمال فيما يصفه، وهي إشارة لصفات الممدوح أو فضائله وهذا الاستخدام البلاغي يعكس مهارة الشاعر في التعبير عن المبالغة في المدح بطريقة غير مباشرة؛ فهو يقول إن ما يمدحه جميل بذاته دون أي زينة أو تكلف فكيف سيكون جماله إن أضيفت إليه الزينة والمحاسن.

• **النداء:**

<sup>1</sup> - الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، المركز الثقافي، بيروت لبنان، ط1، ص: 139.

<sup>2</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، ص: 81.

<sup>3</sup> - أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني)، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص: 118.

يعد من بين الأساليب أكثر استعمالاً وهو: "طلب إقبال المخاطب وإن شئت فقل: دعوة مخاطب بحرف نائب مناب فعل ك: أدعو أو أنادي".<sup>1</sup>

اذ ان الشاعر لم يستعمل أسلوب النداء في قصيدته لان الممدوح قريب منه ولا يحتاج الى منادته فوجدت أسلوب نداء غرضه للتعظيم أو الرجاء من خلال قوله:

60 أَكَابِرْنَا عَظْماً عَلَيْنَا فَإِنَّا بِنَا ظَمّاً مُرِدٍ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلٌ

في البيت حذفت أداة النداء وتقديرها "يا أكابرنا" وحذف أداة النداء أسلوب شائع في الشعر لأغراض بلاغية منها التخفيف أو إظهار القرب، أما غرضها البلاغي: الاستعطاف والرجاء حيث يناشد الشاعر "أكابرنا القوم" ان يحنوا ويعطفوا عليهم، لأنهم يعانون من الظم وأولئك بمثابة "المناهل".

من خلال ما سبق يتبين لنا أن أبا تمام غلب على قصيدته الأساليب الخبرية لان الشاعر أراد أن يقدم مدحا، قائما على التقرير والتوكيد، لا مجرد عاطفة أو مبالغة فالأسلوب الخبري يستخدم في البلاغة لتأكيد المعاني وتشبيتها في ذهن السامع، وهو أقرب إلى أسلوب الحقائق مما يعزز صدق المدح وواقعيته. وأبو تمام المعروف بعمق فكره وبلاغته، يوظف الأساليب الخبرية ليرسم صورة متزنة عن الممدوح لا تقوم على الإطراء العاطفي، بل على عرض مناقبه وكأنه يصف واقعا محسوسا لا يقبل الشك.

### 3- الصورة الفنية:

تعد الصورة الفنية أحد أهم عناصر الإبداع في الشعر، فهي الوسيلة التي يجسد بها الشاعر أفكاره وعواطفه، وينقلها إلى المتلقي في شكل محسوس ومؤثر. لا يقتصر دور الصورة على التزيين البلاغي، بل تتجاوز ذلك لتكون أداة للتعبير العميق تحول المعاني المجردة إلى مشاهد حية تلامس الحس والخيال. وتتكون الصورة الفنية من التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، ويعرفها عبد القادر القط: "الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من التجربة الشعرية في القصيدة".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 4، ص: 126.

<sup>2</sup> - عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، الناشر مكتبة الشباب، 1988، ص: 391.

اعتمد أبو تمام في قصيدته على عدة أنواع من الصور الفنية من بينها:

### 1-التشبيه:

يعد التشبيه من أبرز أساليب البلاغة في اللغة العربية، وهو أسلوب يستخدم لإيضاح المعاني وتقريب الصور الذهنية للقارئ من خلال ربط شيء بشيء آخر يشاركه في صفة أو أكثر، وهو كما عرفه أبو هلال العسكري على أنه: "الوصف بأحد الموضوعين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه".<sup>1</sup> ويعرفه ابن رشيق في العمدة في قوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة من جميع جهاته لأنه مناسبه كلياً إياه".<sup>2</sup> ويقوم التشبيه على أربعة أركان وهي: المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه، ويظهر استعمال الشاعر للتشبيه من خلال قوله:

12 أرى الحشَوَّ والدَّهْمَاءَ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ شُعُوبٌ تَلَاقَتْ دُونَنَا وَقَبَائِلُ

في هذا البيت يقول الشاعر: إن هؤلاء الجهلة والعامة اجتمعوا وتلاقوا كما تتلاقى الشعوب والقبائل في تجمع كبير لكنهم اجتمعوا دون أن يكون لنا بينهم مكان أو اعتبار، مما يعكس نبرة استياء.

يشبه أبو تمام في هذا البيت "الحشو والدهماء" وهم عامة الناس، بأنهم شعوب وقبائل من حيث التكاثر والعدد، إذ يقول: ان العامة الجهال تكاثر عددهم، كأنهم غدوا قبائل وأمما كثيرة.

الغرض البلاغي من هذا البيت هو الذم والتوبيخ، حيث يهدف الشاعر إلى التحقير من شأن العامة الذين غزوا المجالس بغير علم أو حكمة. ومن نماذج التشبيه قول الشاعر:

<sup>1</sup> - أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د-ت)، ص: 245.

<sup>2</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تح: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص: 267.

### 13 غَدَا وَكَأَنَّ الْجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ أَبَّ وَذَوُو الْآدَابِ فِيهِمْ نَوَاقِلُ

يصف الشاعر كيف أصبح الجهل رابطاً قويا يجمع بين أولئك الناس حتى ليُخَيَّلَ إليك أن الجهل أبوهم الذي أنجبهم، بينما أصحاب الأدب والعلم (ذوو الآداب) أصبحوا نواقل أي كأنهم غرباء لا انتماء لهم بينهم. فصار الجهل أصلاً، والعلم غريباً. الغرض البلاغي من هذا التشبيه هو الذم والتقبيح، حيث يحقر الشاعر حال هؤلاء الناس بأن يصور الجهل كأنه الأب الحقيقي لهم، في إشارة أنهم نشأوا عليه وتوارثوه. وإذا اختل ركن من هذه الأركان انقسم إلى أنواع أخرى نذكر أهم ما ورد في قصيدة أبي تمام:

#### أ- التشبيه البليغ:

هو الذي يكتفي بذكر المشبه والمشبه به ولا تذكر الأداة ووجه الشبه. ويظهر هذا من خلال قوله:

### 17 وَأَنْتَ شِهَابٌ فِي الْمُلَمَّاتِ ثَاقِبٌ وَسَيْفٌ إِذَا مَا هَزَّكَ الْحَقُّ قَاصِلٌ

يظهر التشبيه البليغ في عبارتي: "أنت شهاب" و"سيف" حيث شبه الممدوح أولاً بـ الشهاب الثاقب في أوقات الشدائد (الملمات)، للدلالة على سرعته، قوته، ووضوحه في الازمات، تماماً كما يشق الشهاب ظلمة السماء ويبعث في النفس الهدى. ثم شبه بـ "السيف القاصل" الذي يقطع ويفصل دون تردد إذا دعا إلى العدل والإنصاف، فهو لا يتردد في اتخاذ الموقف الحاسم، هذا التشبيه البليغ يعطي المعنى قوة ويضفي على الممدوح صفات النور والحسم. والغرض البلاغي من هذا التشبيه هو المدح والتعظيم، حيث يبرز الشاعر خصال القوة والحكمة والعدل في الممدوح بأسلوب فني وجذاب.

#### ب- الاستعارة:

الاستعارة هي أحد الأساليب البلاغية، حيث يستخدم فيها اللفظ في غير معناه الحقيقي لعلاقة المشابهة بين المعنيين، مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي. وتكمن جماليتها في قدرتها على التعبير بإيجاز وإبداع، مما يضفي على الكلام طابعاً فنياً وتأثيراً عاطفياً أعمق. إذ تعرف الاستعارة: "ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى

المجازي وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه وتطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه مستعاراً له واللفظ مستعاراً.<sup>1</sup> ويقسم البلاغيون الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى: تصريحية ومكنية.

أما التصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.<sup>2</sup> وأما المكنية: هي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه.<sup>2</sup> وأبو تمام شاعر اشتهر باستخدامه للصور البيانية وقد وظفها في قصيدته وخاصة الاستعارة ويتجلى ذلك من خلال قوله:

4 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَابُ ذَيْلَهَا وَقَدْ أُخْمِلَتْ بِالنُّورِ فِيهَا الْخُمَائِلُ

وتظهر الاستعارة في عبارة: "فقد سحبت فيها السحاب ذيلها" حيث شبه فيها السحب بالحيوان وحذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الذيل. ويظهر أثرها البلاغي هو إضفاء الجمال والحيوية على المشهد الطبيعي مما يعمق تأثير الصورة في نفس القارئ ويثير إعجابه.

أما بالنسبة للاستعارة المكنية فنجدها من خلال قوله:

تُطِلُّ الطُّلُوفُ الدَّمَعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمَثِّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارَ الْمَوَاتِلُ

يستخدم أبو تمام استعارتين مكنيتين، إذ يسند أفعالاً إنسانية إلى الجمادات لإضفاء الحياة والانفعال عليها. ففي الشطر الأول، يشبه الطلوف (وهي آثار الديار القديمة) بإنسان يبكي فحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على "إطلال الدمع" وهو من لوازم البشر، لتصبح الطلوف كأنها تبكي على من رحل عنها. أما في الشطر الثاني، فقد شبه الديار المواتل (الديار الباقية) بإنسان يتظاهر بالصبر، فحذف المشبه به وأبقى على فعل "تمثل بالصبر".

والغاية البلاغية من هذه الاستعارتين هو التعبير عن الحزن والحنين الذي عبر عنه الشاعر، بهذه الصورة فهي تجسد أبو تمام تجربته الوجدانية، ويعزز التفاعل العاطفي بين النص والمتلقي. كما نجد استعارة تصريحية من خلال قوله:

<sup>1</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، بيروت، د-ط، 1985، ص: 175.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 176.

### 37 إذا استعززَ الذهنَ الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ

تظهر استعارة تصريحية في قوله: "أعاليه في القرطاس وهي أسافل"، حيث يصرح بالمشبه به (الأعال والأسافل) ويحذف المشبه وهو المعاني أو الأفكار، فقد شبه المعاني الذهنية العالية بـ "الأعال" ثم صرح بها، وجعلها تنقلب إلى أسافل في القرطاس عند كتابتها، أما الغرض البلاغي من هذه الاستعارة فهو الإعلاء من شأن الذهن الذكي الذي يستطيع أن يحول الأفكار السامية إلى عبارات مكتوبة فتبدو بسيطة في موضعها لكنها عميقة في مضمونها.

#### ج-الكناية:

تعتبر الكناية جزء مهم من أقسام علم البيان كما أنها من أقسام علم البيان كما أنها من العناصر البلاغية التي يستعملها الشعراء والادباء والخطباء للتعبير عن المشاعر والأفكار وتقديمها في شكل لائق يعجب السامعين وهذا ما ذهب إليه عبد القادر الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إتباع معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به ويجعله دليلاً عليه".<sup>1</sup> إن أهم ميزة التي اتسم بها شعر أبي تمام في شعره هو توظيفه للكناية ويتجلى ذلك من خلال قوله:

أبا جعفرٍ إنَّ الجَهالةَ أُمُّها  
وَلودٌ وأُمُّ العِلْمِ جداءٌ حائلٌ

حيث يقول الشاعر: "أم الجهالة ولود" كناية عن كثرة انتشار الجهل وسرعة تناسله بين الناس، أي أن الجهل يولد باستمرار، وينتشر بين الناس بسهولة. أما في قوله: "أم العلم جداء حائل" والجداء هي الناقة التي لا لبن لها، والحائل هي التي لم تحمل وهذه كناية عن قلة العلم وانقطاعه في زمن من الأزمنة، فكأن العلم قد أصابه العقم فلم ينتج أو ينتشر. كما يظهر توظيفه للكناية من خلال قوله:

30 لك القَلَمُ الأعلى الَّذي بِشَبَاتِهِ  
تُصابُ مِنَ الأمرِ الكُلَى والمَفَاصِلُ

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1409هـ - 1988م، ص: 52.

يظهر البيت على وجود كناية في كلا الشطرين من البيت ويتبين ذلك من خلال: " القلم الأعلى " كناية عن رفعة المكانة وعظمة الشأن في الكتابة أو الحكم أو الرأي، فالقلم هنا رمز للسلطة الفكرية والسياسية.

" بشباته تصاب الكلى والمفاصل " كناية عن قوة التأثير والنفوذ، فالشاعر يصور القلم كأنه سيف ذو حد يجرح، فيصيب الأعضاء (الكلى والمفاصل) فالكلمة التي يكتبها تؤثر بعمق ويترك أثرا بالغا.

الكناية في هذا البيت منحت المعنى عمقا وهيبه وبلاغة، وأثرت في نفس السامع بإيحاء يضيف فخامة ورفعة الممدوح.

#### د-المجاز:

يعد المجاز من أبرز الأساليب البلاغية التي تضيف على اللغة جمالا وعمقا وتخرجها من حدود المعنى إلى آفاق التصوير والإيحاء، فالمجاز هو: " المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي."<sup>1</sup>

ويتجلى لنا استعمال أبي تمام للمجاز من خلال قوله:

7 لِيَالِي أَضَلَّتْ الْعَزَاءَ وَجَوَلَتْ بِعَقْلِكَ آرَامُ الْخُدُورِ الْعَقَائِلُ

حيث نلاحظ وجود مجاز عقلي في عبارة: " آرام الخدور " فالرئم ليس له خدر، بل النساء من لهن خدور حيث اسند فعل التأثير إلى العقل والعلاقة هنا هي سببية. والغرض البلاغي من هذا المجاز هو إعطاء الصورة قوة وتأثير في نفس المتلقي.

كما نلاحظ وجود مجاز ويتضح من خلال قوله:

41 هُوَ الْمَرْءُ لَا الشُّورَى اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِهِ وَلَا قَبَضَتْ مِنْ رَاحَتِيهِ الْعَوَازِلُ

ونجد المجاز في عبارة: " ولا قبضت من راحتيه العوازل " ذكر راحة اليد التي تعطي الهبات والمكرمات، هنا مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن العطاء يكون باليد كلها وليس بكف اليد فقط. ونماذج ذلك كثيرة كما نلاحظ وجوده من خلال قوله:

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، دار المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (د-ط)(د-ت)، ص: 251.

## 58 تَرُدُّ قَوَافِيهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ

## هَوَامِلٌ مَجْدِ الْقَوْمِ وَهِيَ هَوَامِلٌ

نجد المجاز في عبارة: "ترد قوافيها" ذكر القوافي وقصد أبيات الشعر و القافية جزء من البيت الشعري فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية.

ومن خلال ما سبق تستخلص: أن أبو تمام وظف الصور البيانية توظيفا بارعا في قصيدته "متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل" وجعل منها أداة فعالة في تعزيز معاني المدح و إبراز عظمة ابن الزيات، فقد اعتمد على الاستعارة والتشبيه و الكناية بشكل مكثف، مما أضفى على القصيدة طابعا فنيا رفيعا وأخرج المدح من دائرة المباشرة إلى فضاء الإبداع الفني، حيث ظهر أثر هذه الصور البيانية في المدح من خلال قدرتها على تحويل الاعجاب العادي إلى تصوير فني، كما ساهمت في تعظيم شأن الممدوح بإلباسه ثوبا من المجد والجمال، وتظهر فصاحة الشاعر وعمق ثقافته، مما يضفي على المدح مصداقية فنية وفكرية معا.

### 4-الموسيقى:

تعد موسيقى الشعر أحد أهم عناصره الجمالية التي تميزه عن النثر، فهي تمنح القصيدة إيقاعا خاصا يسهم في إحداث التأثير العاطفي والفني في المتلقي ولا تقتصر موسيقى الشعر على خارجية من الوزن والروي والقافية بل تشمل جوانب داخلية من المحسنات البديعية والمعنوية في القصيدة.

تعد الموسيقى من أهم شروط الشعر وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: "للشعر نواحي عدة للجمال لكن أسرعها الى نفوسنا ما فيها من جرس الالفاظ وانسجام في توالي المقاطع ويردد بعضها بقدر معين وكل هذا نسميه بموسيقى الشعر".<sup>1</sup>

أ-الموسيقى الخارجية: تعتمد الموسيقى الخارجية على ثلاثة عناصر هي:

### 1-الوزن:

1- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1952، ص ص:6.7



الوزن من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الشاعر في تكوين موسيقاه الداخلية في نصه الشعري ويُعرفه ابن الرشيقي في كتابه العمدة قائلاً: "الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة إلا تختلف القوافي فيكون ذلك."<sup>1</sup> كما يقال عنه: "ووزن البيت هو سلسلة السواكن والمتحركات المستنتجة منه، مجزأة إلى مستويات مختلفة من المكونات الشطران، التفاعيل، الأسباب، الاوتاد."<sup>2</sup> من خلال التعريفات السابقة نجد أن الوزن هو ورود الابیات الشعرية وفق بحر معين ويتجسد ذلك من خلال تفعيلات البحور الشعرية المتنوعة التي جاء بها الخليل الفراهيدي في الشعر العربي، ومن خلال دراستنا لقصيدة أبي تمام وتطبيقي هذا على بعض من أبياته لأبرز بحر القصيدة وأهم تفعيلاته وما طرأ عليها من تغيرات.

يقول أبو تمام:

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ      وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ أَهْلٌ  
مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ لَحْيِي ذَاهِلُ      وَقَلْبُكَ مِنْهُ مُدَّةَ دَهْرِ أَهْلُ

0//0/ / 0/0 // 0/ /0/ / /0//      0//0/ / 0/0 // 0/0/ /0/ / 0/ 0//  
فعولن      مفاعيلن      فعولن      مفاعيلن      فعول      مفاعيلن      فعولن      مفاعيلن

ومن خلال النموذج المدروس نجد أن الشاعر اعتمد في نظم شعره على القصيدة العمودية وعلى البحر الطويل وهو من أكثر بحور الشعر العربي استعمالاً لاسيما في تراثنا القديم منذ العصر الجاهلي.

- يقوم هذا البحر على تفعيلتين وهما: فعولن مفاعيلن تتكرر كل منها بالتناوب مرتين في كل شطر من شطري البيت الشعري هكذا:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن      فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن: ط

-ومفتاحه ويل ينير الشعر فيه مصابيح فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.

فلقد جاءت التفعيلات في الشطر الأول من البيت:

<sup>1</sup> ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص: 58.

<sup>2</sup> مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1998، ص: 07.

الأولى والثالثة صحيحة (فعولن)، الثانية صحيحة (مفاعيلن)، أما التفعيلة الرابعة فلقد طرأ عليها تغير أصلها مفاعيلن أصبحت مفاعلن وعروض هذا الاستعمال تام مقبوض أي لحقه القبض بحذف الخامس الساكن حيث تحولت التفعيلة من مفاعيلن الى مفاعلن. التفعيلة قبل الزحاف : مفاعيلن التفعيلة بعد وقوع القبض بها: مفاعلن أما في عجز البيت فلقد طرأ تغير على تفعيلة فعول وأصلها فعولن، وقد وقع القبض بالتف طراً على تفعيلات هذا البحر زحاف القبض كما هو موضح في هذا الجدول:

| التفعيلة الاصلية | ما طرأ عليها من تغير                                                    |
|------------------|-------------------------------------------------------------------------|
| 1-فعولن          | 1-القبض هو حذف الخامس الساكن وهي النون من التفعيلة<br>فتصبح: فعولن فعول |
| 2-مفاعيلن        | 2-القبض (زحاف) مفاعلن<br>مفاعيلن مفاعلن<br>0//0// 0/0/0//               |

وَإِنَّ الْمَعَالِي يَسْتَرِمُّ بِنَاؤُهَا وَشَيْكًا كَمَا قَدْ تَسْتَرِمُّ الْمَنَازِلُ  
وَإِنَّ لِمَعَالِي يَسْتَرِمُّ بِنَاؤُهَا وَشَيْكُنْ كَمَا قَدْ يَسْتَرِمُّ لِمَنَازِلُ  
0//0// 0//0// 0//0// 0//0// 0//0// 0//0// 0//0// 0//0//  
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن  
أ- القبض:

هو حذف الخامس الساكن مثلاً: فعولن-فعول ، مفاعيلن- مفاعلن.<sup>1</sup>  
وقد طرأ على تفعيلات هذا البحر زحاف القبض كما هو موضح في هذا الجدول

1- مختار عطية، موسيقى الشعر العربي (بحوره..قوافيه..ضرائره)، دار الجامعة الجديدة، 2008، ص:168.

| التفعيلة الاصلية | ما طرأ عليها من تغير                                                          |
|------------------|-------------------------------------------------------------------------------|
| 1-فعولن          | 1-القبض هو حذف الخامس الساكن وهي النون من التفعيلة                            |
| 2-مفاعيلن        | فتصبح: فعولن فعول<br>2-القبض(زحاف) مفاعلن<br>مفاعيلن مفاعلن<br>0//0// 0/0/0// |

### ب - القافية:

ومن أهم وأبرز مصطلحات الأساسية في الموسيقى الشعرية حيث تعطي نغمة موسيقية للسامع أو القارئ وتؤثر فالقافية عند الخليل: " هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري وهي اما بعض كلمة أو بعض أخرى أو كلمتان".<sup>1</sup>

اذن فالقافية هي آخر البيت ونجد من آخر ساكن الى أول متحرك قبل الساكن الذي بعده. وهي أيضا: " الحروف التي يلتزمها الشاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة وتبدأ في آخر حرف ساكن في البيت أول ساكن سبقه مع الحرف المتحرك الذي قبل الساكن".<sup>2</sup>

4 فَقَدْ سَحَبْتُ فِيهَا السَّحَائِبُ ذَيْلَهَا وَقَدْ أُخْمِلْتُ بِالنُّورِ فِيهَا الْخَمَائِلُ

|        |          |        |           |           |          |            |            |          |              |
|--------|----------|--------|-----------|-----------|----------|------------|------------|----------|--------------|
| فَقَدْ | سَحَبْتُ | فِيهَا | سَحَائِبُ | ذَيْلَهَا | وَقَدْ   | أُخْمِلْتُ | بِالنُّورِ | فِيهَا   | الْخَمَائِلُ |
| 0//    | 0///     | /0/    | //0//0    | 0//0/     | 0//0/0// | 0//0/0//   | 0//0/0//   | 0//0/0// | 0//0/0//     |
| فعول   | مفاعيلن  | فعول   | مفاعيلن   | فعول      | مفاعيلن  | فعول       | مفاعيلن    | فعول     | مفاعيلن      |

وقد وردت القافية في كلمة: مائلو

0//0/

<sup>1</sup> - محمد عبد المنعم خفاجي، الأصول الفنية في الأوزان الشعر العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص: 127 .

<sup>2</sup> - محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 199، 135

إذن فالقافية: " الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل ساكنين في آخر البيت الشعري".<sup>1</sup> وقد تكررت القافية في كل القصيدة منحها نغمة موسيقية ساعدت على جلب السامع وخلقت نوعاً من الانسجام والتوازن الصوتي.

### ج- الروي:

الروي هو الحرف الأخير في البيت الشعري، ويعد العمود الفقري الذي تبنى عليه وحدة القصيدة العمودية، كما يعرف الروي بأنه الحرف الذي تبنى عليه آخر قافية في القصيدة اذن: " هو الحرف الصحيح آخر البيت وهو إما ساكن وإما متحرك".<sup>2</sup> إذ يعد عنصراً أساسياً في بناء الإيقاع الشعري، له دور كبير في ترسيخ الجرس الموسيقي الذي يُطرب السمع ويمنح النص وحدة فنية متماسكة من الناحية البلاغية، يسهم الروي في تعزيز المعنى وإبراز الانفعالات، حيث يُختار بعناية ليناسب مضمون القصيدة، فالروي الميم مثلاً قد يوحي بالهدوء والكاف قد يدل على الشدة أو التأكيد، لذا نجد أبو تمام قد أصاب في اختيار حرف رويه الذي بنى عليه قصيدته والمتمثل في اللام المضمومة.

جاء اختيار هذا الروي (اللام المضمومة) مقصوداً ومحملاً بدلالات بلاغية تتناسب مع غرض المدح ومقام الممدوح وذلك من خلال:

- 1- اللام المضمومة تحدث نغمة رخيمة ووقورة في السمع فهي تترك أثراً من الهيبة والالتزان.
  - 2- اختيار هذا الروي يضيف على القصيدة جرساً موسيقياً، مما يعزز من وقع المديح ويدعم الأسلوب البياني الراقي الذي يتميز به أبو تمام.
  - 3- التكرار الصوتي للام المضمومة في نهاية الأبيات يعمل على تثبيت المعاني في ذهن السامع ويخلق وحدة صوتية تشد الانتباه وتمنح القصيدة إيقاعاً مميزاً.
- إذن، فاختيار أبي تمام للام المضمومة لم يكن اعتباطياً، بل هو اختيار فني بلاغي يعكس وعيه بالصوت والمعنى ويخدم غرضه الشعري بأقصى درجات الإتقان.

### 5-الموسيقى الداخلية:

<sup>1</sup> - محمود مصطفى، أهدى السبيل إلى علم الخليل، تح: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1996، ص: 112.

<sup>2</sup> - عبد الله درويش، دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، ط3، 1987، ص: 96.

تتحقق الموسيقى الداخلية على مستوى النص الأدبي اعتماداً على عدة عناصر منها: الجنس والطباق والتصريع والتكرار والحروف الصامته والمتحركة... ويعد هذا النوع من الموسيقى أداة فنية عالية يستخدمها الشاعر للتعبير عن انفعالاته وإيصال أحاسيسه بدقة، فهي تعزز البنية الشعرية للنص وتضفي عليه طابعاً جمالياً يعمق التأثير النفسي لدى القارئ.

أ- التكرار:

يعتبر التكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية، والمقصود به: "تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما، وذلك إما للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو للتهويل، أو للتعظيم. وقد قسمه العلماء إلى نوعين: أحدهما الذي نجده في اللفظ والمعنى.<sup>1</sup> ومن الملاحظ أن أبو تمام استعمل التكرار اللفظي في بعض أبيات القصيدة ويتجلى ذلك من خلال قوله:

10 هَوَى كَانَ خِلْساً إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ الْهَوَى هَوَى جُلْتُ فِي أَفْنَائِهِ وَهُوَ خَامِلٌ

11 أبا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمُّهَا وَلَوْ دُ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَدَاءُ حَائِلٌ

استعمل التكرار في الكلمات: الهوى/ هوى، أمها/ أم، حيث سعى به لتأكيد الفكرة أو المعنى وترسيخها في ذهن القارئ. كما ساهم في خلق إيقاع لغوي جميل.

كما نجد التكرار من خلال قوله:

8 مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشُمًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ

استعمل الشاعر التكرار في كلمتي: الخلاخل/ الخلاخل، الغرض البلاغي هو تعميق المعنى وتوكيده، كما أضفى إيقاعاً موسيقياً على البيت.

كما نجده في نموذج من خلال قوله:

15 فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ ضَرْبٍ مُنَاسِبٌ مُنَاسِبَ رُوحَانِيَّةٍ مِنْ يُشَاكِلُ

<sup>1</sup> -ابن الاثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص:3.

حيث نجد التكرار فالبيت من خلال كلمتي: مناسب/ مناسب وغرضه البلاغي هو التوكيد على المعنى.

#### ب- الطباق:

الطباق هو أحد أساليب البديع في اللغة العربية، ويعد من الوسائل الجمالية التي تضفي على النص قوة في التعبير وإثارة في المعنى، وقد وظفه الأدباء والشعراء في مختلف العصور لإضفاء عمق وإيقاع على نصوصهم، إذ يعرف الطباق أو ما يسمى بالتضاد وهو: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة".<sup>1</sup>

بمعنى أن الطباق يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين فلا يكون بين اسم أو فعل، أو بين حرف واسم.

كما نجد في تعريف آخر: "لون من ألوان البديع المعنوية وهو الجمع في العبارة الواحدة بين الشيء وضده أو الجمع بين متضادين".<sup>2</sup>

فالطباق إذن هو الضد وهو قسمان:

طباق السلب: يتمثل في "الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت و منفي".

طباق الايجاب: وهو "مالم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا".<sup>3</sup>

والملاحظ أن الطباق كان وارد وبكثرة في القصيدة وفي عدة مواضع نذكر مثلا في البيت:

11 أبا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمُّهَا وَلَوْ دُ وَاُمُّ الْعِلْمِ جَدَّاءُ حَائِلُ

نلاحظ وجود طباق الايجاب بين كلمتي: "الجهالة" و "العلم" والغرض البلاغي من هذا الطباق هو توضيح المعنى وتقويته بالتضاد، مما يعمق تأثير المعنى في نفس السامع.

كما نلاحظ وجوده في البيت من خلال قوله:

33 لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان، حققه عبد القادر فاضلي، د.ط، دار المكتبة العلمية ، بيروت، لبنان، د.ت، ص: 348 .

<sup>2</sup> - شكري امين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، لبنان، ط2 ، 1999 ، ص: 43

<sup>3</sup> - محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص: 68.

يوجد طباق بين كلمتي: "الشرق" و "الغرب" وهو طباق ايجاب ويظهر غرضه البلاغي: التوكيد على الشمول والاتساع وأنه تأثير الممدوح على الناس من شرقها الى غربها، كما ساهم في تعظيم الممدوح وتعميق المبالغة في المدح بطريقة بلاغية أنيقة.

كما يظهر الطباق في القصيدة ويتجلى من خلال قوله:

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلٌ

هناك طباق بين كلمتي: "فصيح" و "أعجم" وبين كلمتي: "راكب" و " راجل" في هذا البيت عمل الطباق أهمية في إيضاح المعنى وزيادة قوته كما عمل على تعميق الأثر وشد انتباه المتلقي.

### ج-الجناس:

هو تشابه الالفاظ في حروفها مع تحمل معان مختلفة وهذا التجانس في الالفاظ يكسب الصورة الفنية ايقاعا موسيقيا وجرسا صوتيا خاص. وقد ورد في كتاب مدخل الى البلاغة ليوסף أبو العدوس: "تشابه اللفظين في النطق واختلافها في المعنى هذه التسمية راجع الى أن حروفه ألفاظه يكون في تركيبها في حبس واحد." <sup>1</sup> وينقسم الجناس بدوره إلى قسمين هما: جناس تام: وهو " ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور هي نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها" <sup>2</sup>

جناس غير تام: هو "أن لا يتفق اللفظان في بعض الأمور المتقدمة في الجناس التام." <sup>3</sup> ومن الملاحظ وجود الجناس غير التام في بعض أبيات القصيدة ويتجلى ذلك من خلال قوله:

6 لَهُمْ سَلَفٌ سُمِرُ الْعَوَالِي وَسَامِرٌ وَفِيهِمْ جَمَالٌ لَا يَغِيضُ وَجَامِلٌ

ويتجلى لنا الجناس غير التام من خلال كلمتي: " سمر" و " سامر" وهو مختلفتان في عدد الحروف. اما كلمة سامر فتعني المتحدث في ضوء لقمر، وكلمة سمر تعني المتقدمون. الغرض البلاغي حيث يعطي وقعا موسيقيا جميلا ويشد الانتباه ويظهر براعة الشاعر في اختيار الالفاظ.

<sup>1</sup>-يوסף أبو عدوس، مدخل الى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط 1 ، 2007 ، ص: 276.

<sup>2</sup>- محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص: 114.

<sup>3</sup>- سلطانني محمد علي، المختار من علوم البلاغة والعروض، ص: 167.

### 3 دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرِّبْعُ رُبُوعَهَا وَلَا مَرَّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ

نلاحظ وجود جناس غير تام في هذا البيت بين كلمتي: "أغفالها" و " غافل" وهو غير تام من حيث عدد الحروف ونوعها، أما كلمة غافل تعني النسيان، والأغفال تعني الأرض التي لا علم لها.

والغرض البلاغي هو التوكيد على شدة الغفلة مع إضافة لمسة جمالية تعزز وقع البيت وبلاغته.

#### د-التصریح:

التصریح وسيلة فنية تدخل إطار المحسنات البديعية وهو: " أن يعتمد الشاعر في مطلع قصيدته الى إقامة القافية في عروض البيت وضربه.<sup>1</sup>"  
حيث نلاحظ التصریح ورد في مطلع القصيدة وليس في كلها ويتبين ذلك من خلال قوله:

### 1 مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ آهْلٌ

حيث نلاحظ أن كلمتي:

- " ذاهل" (آخر الشطر الأول)

- "آهل" (آخر الشطر الثاني)

تنتهيان بنفس الوزن والصيغة (فَعِلٌ) وبحرف الروي (اللام المضمومة).

فلهذا يعد تصريحاً لأن الشاعر جعل الشطر الأول ينتهي بنفس قافية الشطر الثاني وهو من المحسنات البديعية ويشيع في مطالع القصائد خاصة في الشعر العمودي، ليحدث انسجاماً موسيقياً ويجذب الانتباه. والغرض البلاغي: تحسين الوقع الموسيقي للبيت وجذب السامع.

<sup>1</sup>- سلطان محمد علي، المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1 ، 2008 ، ص: 174 .



ومما سبق نستنتج أن قصيدة أبي تمام التي مطلعها " متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل " اتسمت بموسيقى شعرية ثرية تتوزع بين موسيقى خارجية و داخلية، تضيف على القصيدة جمالا فنيا و إيقاعا متماسكا، أما الموسيقى الخارجية فتتمثل في انتساب القصيدة إلى البحر الطويل، وهو بحر يمتاز بالإيقاع الرزين مما يجعله مناسبا لأغراض الفخر والمدح ويمنح النص طابعا من الوقار و السمو، كما ساهم حرف الروي (اللام) في تعزيز الجرس الموسيقي من خلال استعماله للمحسنات البديعية ( الطباق و الجناس و التكرار و التصريع) التي لعبت دورا بلاغيا في إضفاء الجمال الفني و تقوية المعنى وجذب انتباه المتلقي.

---

خاتمة

---

### خاتمة:

بعد هذه الدراسة الماتعة في رحاب شعر ابي تمام، بعد تتبع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الأول يظهر كيف شكلت تلك المرحلة بيئة خصبة لنمو الأدب وازدهاره، وخصوصا فن المدح الذي كان أداة تعبيرية وسياسية في آن معاً، إذ يتضح أن فن المدح لم يكن مجرد غرض شعري تقليدي، بل تطور بتطور الحياة السياسية والثقافية حتى بلغ ذروته في العصر العباسي، حيث امتزج فيه البعد الفني بالبعد الفكري السياسي. وقد مثل أبو تمام نموذجاً متقدماً لهذا التطور.

لقد أظهر أبو تمام في قصيدته التي مدح فيها الوزير ابن الزيات تميزاً واضحاً في البناء الفني والاسلوبي وجمع فيها الأصالة والابتكار ليعبر عن مديحه بأسلوب يفوق التقليد السائد ويجدد في الرؤية الشعرية. ومن خلال تحليلي الفني للقصيدة، لمسنا البنية الشعرية المحكمة التي قامت على الترابط العضوي بين الأبيات، وعلى التنقل الذكي بين الغزل والاعتزاز القبلي والمدح السياسي، وهي سمات بارزة في شعره، لكنها في هذه القصيدة أخذت طابعاً خاصاً حيث بدا التوازن دقيقاً بين التعبير عن العاطفة الشخصية، والتقرب من السلطة عبر الثناء.

اعتمد الشاعر في مطلع قصيدته على أسلوب استهلالي غزلي، يستحضر فيه ذكرى الحبيبة "ذهلية" ليمهد بها لمدح ابن الزيات، وهذا التدرج من الغزل إلى المدح، يعد سمة فنية شائعة في الشعر العباسي، ولكنها عند أبي تمام تأخذ بعداً أعمق من مجرد التقديم؛ إذ يوظف الغزل كأداة لإثارة العاطفة وتهيئة المتلقي للانتقال إلى المديح الذي سيأتي في ثوب بلاغي مزخرف ومبتن. وقد ظهر ذلك جلياً في الانتقال السلس بين الأغراض دون كسر للنسق الإيقاعي أو تشويش في الموضوع.

كما تجلت في القصيدة مظاهر التجديد التي عرف بها أبو تمام خاصة في الصور الشعرية المركبة والمعاني العميقة التي تتجاوز السطح لتمنح المدح بعداً فكرياً وفنياً فهو لا يكتفي بإطلاق صفات تقليدية على الممدوح، بل يلبسه رداء البطولة والعلم والعدل، ويجعله رمزاً للفضائل المأمولة في السلطة، مستخدماً بذلك استعارات وتشبيهات تتم عن ثقافة واسعة وقدرة فائقة على التأليف بين الصور والمعاني، ومن الناحية الموسيقية، حافظ الشاعر على انسجام بحري وقافي يدعم الإيقاع الشعري ويعزز من جمالية النص. وتبرز القافية الموحدة والوزن المتزن في دعم المعاني

وتشبيتها في ذهن المتلقي، كما أن التكرار اللفظي والطباق شكلوا عناصر فاعلة في تعميق التأثير الفني للنص.

خلاصة القول، إن قصيدة أبي تمام في مدح ابن الزيات تمثل نموذجاً ناضجاً للشعر العباسي من حيث الشكل والمضمون، وتظهر قدرة الشاعر على توظيف أدواته البلاغية لخدمة غرض شعري سام، دون أن يقع في فخ التقليد. فهي قصيدة تكشف عن شاعر مثقف، واعٍ بسياقه السياسي والاجتماعي ومتمكن من فنه إلى حد يجعل من مدحه فناً بحد ذاته، لا مجرد وسيلة للتقرب أو التكسب، وتظل هذه القصيدة واحد من الدلائل البارزة على نبوغ أبي تمام ومكانته في خريطة الشعر العربي الكلاسيكي حيث امتزج فيها الفكر بالعاطفة والبلاغة بالحكمة، لتقدم نصاً شعرياً خالداً يستحق الوقوف عنده بالدراسة والتأمل.

---

## قائمة المصادر والمراجع:

---

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم السمري (حياته وعصره وشعره)، محافظة الغربية السنطة، 2018/08/24.
- 2- إبراهيم انيس، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، القاهرة مصر، 1952.
- 3- ابن الأثير (ضياء الدين أبو الفتح نصر الله)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الجزء الأول، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة مصر، (د-ط)، (د-ت).
- 4- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط6، مصر، ج1، 1991.
- 5- أحمد حسن بتسح، الاخل شاعر بني أمية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1394هـ.
- 6- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- 7- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية (علم المعاني)، دار النهضة العربية، ط1، بيروت لبنان.
- 10- إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.
- 11- إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي تمام، ط؟ دار الكتب اللبناني، بيروت، 1981.
- 12- بكاريوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، ط2، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1982.
- 13- جميل سلطان، أبي تمام، المطبعة الهاشمية، بدمشق، 1369هـ-1950م.
- 14- جميل سعيد، ديوان (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات)، 20 تموز 1990.
- 15- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د-ط)، (د-ت).
- 17- حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1994.
- 18- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان، حققه: عبد القادر فاضلي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 19- خفاجي، محمد عبد المنعم، الآداب العربية (في العصر العباسي الأول)، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ-1992م.
- 20- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأصول الفنية في أوزان الشعر العربي، ط1، دار الجيل، 1992.

- 21- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت (د-ط)، مج 2، (د-ت).
- 22- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، تحقيق: محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1988.
- 23- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، ط1، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2.
- 24- سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي الشعر، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة، عمان -الأردن، ط1، 2011.
- 25- سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون والمديح في الشعر، دار راتب الجامعية، بيروت لبنان، 2004.
- 26- سلطان محمد علي، المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، ط1، دمشق سوريا، 2008.
- 27- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ الأدب (العصر العباسي الأول)، مؤسسة شباب الجامعة-الإسكندرية، الجزء 3، 1993.
- 28- شكري أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، ط2، لبنان، 1999.
- 29- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط2، دار المعارف، مصر، د.ت.
- 30- شوقي ضيف، تاريخ الآداب العربية (العصر العباسي الأول)، ط16، دار المعارف، 2004.
- 31- عباس محمد العقاد، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013.
- 32- عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- 33- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني)، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان.
- 34- عبد العزيز عتيق، الأدب في الاندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت لبنان، 1972.
- 35- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط)، 1985.

- 36- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1409هـ - 1988م.
- 37- عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله (دراسة تحليلية)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د-ط)، 1383هـ - 1964م.
- 38- عمر فروخ، أبو تمام (شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله)، مطبعة بيروت، ط1، 1353- 1935.
- 39- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، ط3، 1978.
- 40- عبد الله درويش، دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، ط3، مكة المكرمة السعودية، 1987.
- 41- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، ج1، 2003.
- 42- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، عمان الأردن.
- 43- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د-ط)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006، ج1.
- 44- كعب بن زهير، الديوان، تحقيق: علي الناعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د-ط).
- 45- محمد الأمين، أبو تمام حياته وشعره، تحقيق: حسن الأمين، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1425هـ - 2004م.
- 46- محمد سهيل قطوش، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، لبنان، 2009.
- 47- محمد مهدي البصير في الادب العباسي، مطبعة السعدي، الطبعة الثانية، بغداد، 1955.
- 48- محمد عبده، أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، الهيئة المصرية للكتاب.
- 49- محمد أحمد قاسم و محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان و المعاني، المؤسسة الحديثة الكتاب، ط1، طرابلس لبنان، 2003 .
- 50- محمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة والبلاغة المعاني، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1980.
- 51- محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، ط1 ، دار القلم، دمشق.



- 52- مختار عطية، موسيقى الشعر العربي (بحوره، قوافيه، ضرائره)، دار الجامعة الجديدة، (د-ط)، 2008.
- 53- مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 1998.
- 54- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
- 55- مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط6، دار العلم والملايين، بيروت، لبنان، 1986.
- 56- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، ط4، مصر، 1977م.
- 57- ميادة اسبر، شعرية أبي تمام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.
- 58- النابغة الذبياني، الديوان، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت لبنان، 2003.
- 59- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د-ت).
- 60- يحيى الجبوري، محمد بن عبد الملك الزيات (سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه)، الطبعة الأولى، عمان، 2002.
- 61- يوسف أبو دعوس، مدخل الى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2007.

### المعاجم:

- 1- جبور عبد النور، المعجم العربي، دار الملايين، ط1، بيروت لبنان، 1989.
- 2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (مرتبا على حروف المعجم)، تح: عبد الحميد هندراوي، منشورات علي بيوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2003، ج4.
- 3- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مج1، 2008.

- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، ط1 (طبعة جديدة ومنقحة)، لبنان، 1427-2006، ج:14.

---

# فهرس المحتويات

---

## فهرس المحتويات

| الصفحة                       | العنوان                                                               |
|------------------------------|-----------------------------------------------------------------------|
| /                            | البسملة                                                               |
| /                            | شكر وعرفان                                                            |
| /                            | إهداء                                                                 |
| أ                            | مقدمة                                                                 |
|                              | المدخل: المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الأول |
| 5                            | مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي          |
| 5                            | أولاً: المظاهر السياسية                                               |
| 5                            | 1. قيام الدولة العباسية                                               |
| 6                            | 2. النظم السياسية والإدارية                                           |
| 7                            | ثانياً: المظاهر الاجتماعية                                            |
| 8                            | 1. الحضارة والثراء والترف                                             |
| 9                            | 2. الرقيق والجواري والغناء                                            |
| 9                            | 3. المجون                                                             |
| 9                            | 4. الزهد                                                              |
| 10                           | 5. الشعوبية                                                           |
| 10                           | 6. الزندقة                                                            |
| 12                           | ثالثاً: المظاهر الثقافية                                              |
| 12                           | 1. الحركة العلمية                                                     |
| 12                           | 2. حركة الترجمة                                                       |
| 15                           | 3. أثر الثقافات الأجنبية                                              |
| الفصل الأول: الدراسة النظرية |                                                                       |
| 18                           | أولاً: التعريف بأبي تمام الطائي                                       |
| 18                           | تمهيد                                                                 |
| 18                           | 1. سيرته                                                              |

|                                      |                                                        |
|--------------------------------------|--------------------------------------------------------|
| 18                                   | 2. اسمه ونسبه                                          |
| 19                                   | 3. صفاته وثقافته                                       |
| 21                                   | 4. شعره                                                |
| 22                                   | 5. وفاته                                               |
| 23                                   | 6. آثاره                                               |
| 23                                   | ثانياً: مفهوم المدح وتطوره                             |
| 23                                   | تمهيد                                                  |
| 23                                   | 1. مفهوم المدح                                         |
| 25                                   | 2. تطور المدح                                          |
| 29                                   | ثالثاً: التعريف بابن الزيات (محمد بن عبد الملك الزيات) |
| 29                                   | تمهيد                                                  |
| 30                                   | 1. نشأته                                               |
| 30                                   | 2. تاريخ ولادته                                        |
| 30                                   | 3. عصره وحياته                                         |
| 31                                   | 4. ميله للأدب                                          |
| 31                                   | 5. وزارته                                              |
| 32                                   | 6. مدحه من الشعراء                                     |
| الفصل الثاني: الدراسة الفنية للقصيدة |                                                        |
| 35                                   | أولاً: القصيدة                                         |
| 40                                   | ثانياً: مضمون القصيدة                                  |
| 40                                   | 1. بناء القصيدة وهيكلها                                |
| 40                                   | 2. أقسام القصيدة                                       |
| 41                                   | 3. مطلع القصيدة                                        |
| 42                                   | 4. المقدمة الطللية (الوقوف على الأطلال)                |
| 43                                   | 5. وصف المرأة                                          |
| 44                                   | 6. مدح ابن الزيات وذكر صفاته وخصاله                    |
| 46                                   | 7. طلب الحاجة                                          |

|    |                                     |
|----|-------------------------------------|
| 47 | 8. حُسْنُ التَّخْلِصِ               |
| 48 | 9. الانتهاء أو الخاتمة              |
| 49 | رابعًا: الدراسة الفنية للقصيدة      |
| 49 | 1. خصائص اللغة الشعرية عند أبي تمام |
| 54 | 2. خصائص الأسلوب عند أبي تمام       |
| 58 | 3. الصورة الفنية                    |
| 64 | 4. الموسيقى                         |
| 69 | 5. الموسيقى الداخلية                |
| 70 | خاتمة                               |
| /  | قائمة المصادر والمراجع              |
| /  | فهرس المحتويات                      |
| /  | الملخص                              |

---

ملخص:

---

## ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة قصيدة أبي تمام في مدح الوزير ابن الزيات التي تعد نموذجا فنيا في شعر المدح العباسي، حيث سعت هذه الدراسة إلى تعريف فن المدح بمفهومه اللغوي والاصطلاحي والتعريف بالشاعر و الممدوح لتختتم بدراسة فنية للقصيدة من حيث اللغة والأسلوب و الصور الفنية لإبراز الخصائص الفنية التي ظهرت في شعر أبي تمام من جزالة اللغة وعمق المعاني و كثافة الصور البلاغية و سلكت هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، توصلت هذه الدراسة الى الكشف عن تميز أسلوب ابي تمام الذي يعتمد على عمق المعاني و استخدام مكثف للصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية مما أضفى على القصيدة طابعا مميزا، ابراز القيم التي ظهرت في العصر العباسي مثل الكرم والحكمة و الرعاية لأهل العلم والتي ظهرت بوضوح في ابن الزيات وكما صورها الشاعر من خلال قصيدته

## الكلمات المفتاحية:

- |                  |                   |                  |
|------------------|-------------------|------------------|
| 1.أبو تمام       | 2.ابن الزيات      | 3.المدح العباسي  |
| 4.الصور البلاغية | 5. التحليل الأدبي | 6.القيم العباسية |



---

**Study summary:**

This study explores the poem by Abu Tammam in praise of the minister Ibn al-Zayyat, which is considered an artistic model of panegyric poetry in the Abbasid era. The research aims to define the concept of praise both linguistically and terminologically, and to introduce the poet and the praised figure. The study concludes with an artistic analysis of the poem in terms of language, style, and rhetorical imagery, in order to highlight the artistic features found in Abu Tammam's poetry — including the strength of language, depth of meaning, and richness of figurative expressions.

The study adopts a descriptive analytical approach and reveals the uniqueness of Abu Tammam's style, which is characterized by profound meanings and intensive use of rhetorical imagery such as simile, metaphor, and metonymy. These elements gave the poem a distinctive character. The poem also reflects values prominent in the Abbasid era, such as generosity, wisdom, and support for scholars — qualities that were clearly embodied in Ibn al-Zayyat, as vividly depicted by the poet in his work.

**Keywords:**

- |                       |                      |                      |
|-----------------------|----------------------|----------------------|
| 1- Abu Tammam         | 2- Ibn al-Zayyat     | 3- Abbasid panegyric |
| 3- Rhetorical imagery | 4- Literary analysis | 4- Abbasid values    |